

# I

## دراسات الإباضيّة

تأليف

الدكتور : عمرو النامي

## المحتويات

شكر وتقدير.

ملاحظات عامة.

مقدمة.

### الباب الأول

نشأة الإباضية.

رأي الإباضية في فرقة الخوارج.

عبد الله بن إياض

وجّهات النظر الإباضية في فرقة الخوارج (متابعة)

### الباب الثاني

جابر بن زيد - الإمام الأوّل للمذهب الإباضي.

### الباب الثالث

أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة - الإمام الثاني للمذهب الإباضي.

انتشار المذهب الإباضي في شمال إفريقيا.

حملة العلم.

### الباب الرابع

(1) فلسفة الإباضية في علم التشريع.

إسهام الإباضية في علم الحديث الشريف.

---

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

أمثلة عن اختلاف الرأي بين الإباضية وبين المذاهب الإسلامية أخرى  
حول مسائل شرعية ودينية.

## **الباب الخامس**

المرحلة التأسيسية الأولى

موقف الإباضية من آراء الفرق الإسلامية حول المسائل الرئيسية محل  
الخلاف.

\* الجماعات المنبثقة عن الإباضية.

الاسهامات في التطوير الذاتي للعقيدة عند الإباضية.

## **الباب السادس**

نظام الولاية والبراءة.

أصول نظام الولاية والبراءة.

مراحل تطور الحركة الإباضية (مسالك الدين).

تثبيت المرجع.

## شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين رب العرش العظيم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين.

بادئ ذي بدء، أتقدم بخالص الشكر والتقدير (للبروفيسور) الأستاذ الدكتور: آر. بي. سيرجنت لاقتراحاته العديدة والمفيدة، ولمناقشاته ولنقده البناء مما كان يتفضل به باستمرار طيلة فترة إشرافه على إعداد وكتابة هذه الرسالة.

كذلك شكري الخاص والخالص لأصدقاء وباحثين إياضيين كثير في شمال إفريقيا لكرم ضيافتهم لي ولمساعدتهم المخلصة التي بذلوها بنفوس راضية، كما وإنني مقررٌ بالجميل والعرفان للأفاضل أصحاب المجموعة المخطوطات الخاصة في وادي ميزاب لتسهيلهم وسماحهم لي بحرية الاطلاع في مكتباتهم القيّمة، وهو الأمر الذي لم يكن بدون تقديم هذه الدراسة بالصورة المتكاملة التي تمت بعون الله وتوفيقه، وشكري موصول أيضاً للشيخ محمد السالمي<sup>(1)</sup> والشيخ سالم الحارثي<sup>(2)</sup>، وهما من أهل عمان لمساعدتهما لي بالاطلاع على معظم المخطوطات التي بحوزتهما، وكذلك شكري الجزيل لكافة الأصدقاء الذين تكرموا بتقديم مساعداتهم لي بشكل أو بآخر مما كان له عظيم الفائدة.

كما وإنني أخص بالشكر والتقدير أيضاً كلاً من وزارة التعليم الليبية للمنحة التي التي أقرتها لي طيلة فترة إعداد هذه الدراسة وكلية الآداب بجامعة ليبيا لموافقها بإجازة بحث بهدف التفرغ العلمي لهذا الخصوص، كما وأشكر أيضاً الأستاذ الدكتور: عمر الشيباني مدير جامعة ليبيا، والدكتور: منصور كيخيا عميد كلية الآداب، والفاضل: عبد الرحمن الشريري، رئيس دائرة الطباعة والنشر الذي أدين له بالفضل لطباعة هذه الدراسة في نصها الذي اعتمدت به (باللغة الانجليزية).

1 - محمد بن نور الدين السالمي، ت:

2 - سالم بن محمد الحارثي، باحث ومؤرخ له عدة مؤلفات معاصرة.

هذا والحمد لله أولاً وآخراً للتوفيق الذي أضحت به هذه الدراسة إنجازاً  
موضوعياً وهادفاً بإذنه تعالى.

ربنا آتانا من لذك رحمة وهبنا لنا من أمرنا رشداً، آمين.

عمرو النامي

## ملاحظات عامة

هذه الدراسة قد كانت في الأساس جزءاً من أطروحة تَمَّت كتابتها باللغة الانجليزية، وقدمت في جامعة: كمبريدج، في عام: 1971م، لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة، وهذا النشر الحالي لها، تتم ترجمته اللغة العربية دون أي تعديل في المحتوى العلمي.

ملاحظات الحواش قد رصدت في نهاية كل فصل كل على حده، هذا وبما أن معظم المخطوطات التي اطلعت عليها لإعداد وتقديم هذه الدراسة، لم تكن مرقمة من قبل، فقد قمت بترقيم أوراقها حسب النسق الذي كانت عليه، وبالتالي فإن ترقيم الحواشي في هذه الدراسة قد تم على هذا الأساس أمّا في حالات وجود ترقيم سابق أوراق المخطوطات المذكورة فقد تمّ اعتماده على ما هو عليه؛ فقط أضفت إليه الحرف "أ" أو "ب" للتمييز التوضيحي.

وبالنسبة للاستشهاد ببعض معاني الآيات القرآنية الكريمة فتجدر الإشارة إلى أنّها مأخوذة من ترجمة البروفيسور الراحل/ أمبيري، إلا إذا ورد توضيح بخلاف ذلك، هذا فيما يختص بالنص الإنجليزي لهذه الرسالة أمّا في ترجمتها العربية هذه فقد ركن المترجم إلى الآيات القرآنية الكريمة مباشرة من الكتاب الكريم، وعليه فإنّ الترقيم الذي يرد بهذا الشأن يرجع مباشرة إلى الترقيم القرآني من حيث رقم السورة الكريمة ورقم الآية، دون الأخذ بالترقيم الذي جاء في الترجمة المشار إليها.

## مقدمة

الإباضية أو الأباضية، هي إحدى أقدم المذاهب الإسلامية، ويرجع تاريخ نشأتها إلى النصف الأول من القرن الهجري الأول، ولقد أخذت هذه المدرسة العقيدة اسمها مشتقاً من "عبد الله بن إباض" وهو أحد علمائها الأوائل.

والاسم "الإباضية": يطلق عيسى مجموعة من المسلمين اعتبرها معظم الكتاب فرعاً معتدلاً الاتجاه من حركة الخوارج، والموالون لهذا المذهب لا يزالون يكونون مجموعات مستقلة وبأحكام على تعاليمها ومبادئها الإسلامية، وأكبر هذه المجموعات المعاصرة لهذه الطائفة تعيش حالياً في "مسقط عُمان"، وهذه التسمية هي التي كانت معتمدة في بعض المصادر التاريخية لماً يعرف الآن: بسلطنة عُمان في جنوب شرقي الجزيرة العربية، وهناك بعض الأقليات من أتباع هذا المذهب تعيش في: زنجبار الواقعة على الساحل الشرقي لأفريقيا، وفي جبل نفوسة وزواره في ليبيا، وفي جزيرة جربة في تونس، وكذلك في منطقة وادي ميزاب بالجزائر.

إنّ ما تواتر من معرفة حقيقية عن الإباضية وجنورهم، مبادئهم وتعاليمهم نذر يسير، هذا وبينما ساهم الباحثون الأوروبيون المحدثون بدور مفيد من خلال دراساتهم التي قاموا بإعدادها عن الإباضية تجدر الإشارة هنا إلى أنّ تلك الدراسات قد خصّصت في معظمها للجانب التاريخي للمجتمعات الإباضية، وعن أوجه حياتهم الاجتماعية والدينية المعاصرة، وباستثناء بعض مقالات كتبت عن نظرية وفلسفة مذهبهم، فإنّ تعاليمهم ومبادئهم الدينية لم تتناولها دراسات جادة ومتعمقة ومحايده في الوقت ذاته، بل إنّ ما كتبه الباحثون والمؤرّخون الأوروبيون قد اعتمد أساساً على مصادر تاريخية عامّة دون الأخذ في الاعتبار بتحقيق استفادة موضوعية من كتابات ومؤلفات العلماء الإباضية أنفسهم حول كنهه ومحتوى نظرية مذهبهم، وحول فلسفتهم في العقيدة وفي الفقه وأحكامه، ولعلّ صعوبة الوصول للمؤرخين الغربيين للمصادر المذكورة قد جعلها خارج نطاق اعتباراتهم.

فإنَّ أقدم الكتابات التي تناولت المخطوطات الإباضيَّة قد أعدَّها المؤرخ: موتيلينسكي في بحثه بعنوان: "مخطوطات ميزاب"، والتي سجل فيها مؤلفات (البرادي) عن الإباضيَّة، مضيفا ملاحظاته الشخصية وما خلص إليه من آراء دون أن يتعمَّق في أي جانب بعينه من محتويات تلك المخطوطات متفحصا أو محققا، على أنَّه لم يقدم وصفا متكاملأ لها، والاستثناء من ذلك ربَّما يمكن في وصفه إياها بأنَّها مخطوطات تاريخية فحسب، وعليه قيمة دراسته تتجسَّد في إطارها التَّاريخي لكونها قد جاءت إنجازا مبكراً، الأمر الذي جعل منها خطوة تمهيدية ومقدمة سهلت وشجَّعت القيام ببحوث لاحقة في هذا المضمار كان آخرها أكثرها فائدة وتحقيقاً في مخطوطات ميزاب الوثائقية نفسها تلك الكتابات التي قام بإعدادها البروفيسور الراحل: جيه اسكانت، وضمَّتها دراسته التي سمَّاها: "قائمة المخطوطات الإباضيَّة"، وبالفعل فقد تضمَّنت دراسته تلك قوائم بالوثائق المعنية ضمن مجموعة مخطوطات ميزاب والتي لا تزال باقية، مبيِّنا ترقيمها وتسلسل موضوعاتها، وموضحا أسماءها وعناوينها.

والقوائم الأخرى التي تناولت المجموعات الوثائقية والمخطوطات الإباضيَّة قد قام بتسجيلها باحثون حديثون، منها على سبيل المثال: "قائمة كاراكو" (بولندا) أعدَّها الباحث: لاديسلاو كوبياك، وقد نشرها في مقالته: "المخطوطات العربيَّة في بولونيا" وذلك في مجلَّة معهد المخطوطات العربيَّة"، كذلك هنالك قائمة أخرى بالمخطوطات الإباضيَّة في المعهد الشرقي في نابولي سجلها الباحث: روبيناتشي، وأيضا هنالك ورقة وصف للمخطوطات الإباضيَّة أعدَّها الباحث العربي الراحل: فؤاد السيِّد، وهذه الورقة هي بحوزة: "دار الكتب المصرية" بالقاهرة، وقد أدرجت ضمن مواد الفهرسة البيانية المصورة لدار النشر المذكورة.

لقد قمت أثناء فترة إعداد هذه الدراسات زيارتين للمجتمعات الإباضيَّة في شمال إفريقيا بحثا عن مخطوطات تاريخية وعن مادَّة توثيقية لأبحاثي، الزيارة الأولى كانت بين شهري يونيو وسبتمبر 1968م، وكانت الزيارة الثانية في الفترة بين نوفمبر وديسمبر 1969م، وبحكم كوني إياضياً فلقد تيسر لي الوصول إلى المكتبات الخاصَّة وكذا الاطلاع على العديد من

المخطوطات التاريخية، وهو الأمر الذي لم يكن ليسهل لغير الإباضية، ولقد كان مثار دهشة بالنسبة لي حين وجدت معظم وأهم الأعمال المغربية من مؤلفات ووثائق بما فيها تلك التي كان يعتقد أنها مفقودة وجدتها باقية وبحالة جيّدة، وعليه فإنّ الأمل كبير وواعد بالمزيد من الاستكشاف والتحقيق مستقبلا في هذا المجال، ومن جهتي فقد قمت بإعداد وصف متكامل للمخطوطات التي وقّعت بالكشف عنها لأول مرّة أثناء زيارتي الأولى، ونشرت مقالا بذلك في مجلة "الدراسات السامية"، وأمل بمشيئة الله أن أوفّق إلى إعداد قائمة متكاملة ووصف أكثر دقة لكافة المخطوطات التي فحصتها واطّلت عليها، وذلك في المستقبل بإذن الله تعالى.

هذا وتطلّ هنالك منطقة لم تُكتشف بصورة كاملة رغم أنّها ودون شكّ أو جدال تمثل موقفا حافلا بكثير من الوثائق والمخطوطات الإباضية الأكثر قيمة وأهميّة، تلكم هي عمان، وما فيها من نخر بهذا الشأن يتطلّب عناية خاصّة من الدارسين للشؤون الإباضية، وفيما لم أتمكّن شخصياً من زيارة تلك البلاد لكن بعض الأصدقاء العمانيين قد زوّتوني بمخطوطات إباضية هامة احتوت على مؤلفات قديمة في الفقه والعقيدة، كما واشتملت على سيرة موثوق بها للعلماء الإباضية الأوائل، وبالفعل لقد كانت تلك المخطوطات عوناً عظيماً لي في الدراسة جنور مذهب الإباضية، وفي تحليل صلة هذا المذهب بحركات المعارضة الإسلامية الأولى.

ولمّا كانت عمان مركزاً رئيسياً للإباضية، وفيها تكامل تأسيس إمامة إباضية فدّة لحصب[؟] من الزمان فقد حظيت باهتمام كبير من الباحثين الأروبيين، ولقد أشار المؤرّخ «جيه ويلكنوت» بذلك في رسالته لدرجة الدكتوراة في الفلسفة بعنوان: "الاستيطان العربي في عمان"، جامعة أكسفورد 1969م، وليس وارداً أن أتناول محتوى تلك الرسالة في هذه الدراسات، لكنّي أشير هنا أنّه وعلي صنوء[؟] حقيقة ثراء عمان في هذا المقام، فإنّ الحاجة تطلّ قائمة بضرورة استكشاف، وبعث المزيد من المادّة الوثائقية، ممّا هو كامن في هذه البلاد، الأمر الذي لا شكّ في أنّه سيكون صورة واضحة المعالم لمذاهب الإباضية ولمراحل تطوّره في كافة مواقع العالم التي أقام فيها إباضية وباشروا بتطبيق تعاليم ومبادئ مذهبهم، بيد أنّ

مهمّة الاستكشاف والتدقيق هذه ليست سهلة التحقيق، لكنها تبقى حقيقة أنّ عمان غنيّة بتراث تاريخيٍّ عظيم الفائدة في هذا المجال هي حقيقة لا جدال فيها، ذلك لأنّ الرموز القياديّة الأولى للإباضية والتي اطّلت بمهام الريادة والقيادة التأسسيّة لمدرستهم قد انتقلت من البصرة إلى عمان حيث أنشأوا إمامة قويّة، وقد تهيأً للباحثين والمؤرّخين الذين عاصروا نشأة تلك الإمامة إعداد دراسات وبحوث حول الحركة الإباضيّة من أساسها مع مراجعة وتطوير آرائهم ومعتقداتهم عن الإباضيّة، والإسهام التلقائي من خلال كتاباتهم وبحوثهم بنقل بعض من ملامح أدب وسيرة الإباضيّة من مراكز الإمامة إلى بلدان إباضيّة أخرى، بينما ظلّت عمان وما فتئت مركز الأصالة لمبادئ وتعاليم المذهب الإباضي منذ نشأته الأولى، ولا تزال مكونة بمادة وفيرة من تراث الإباضيّة، والاحتمال قويٌّ جدًّا بأن تثمر المستقبلية البناء عن المزيد والجديد من المورثات التاريخية لهذا المذهب ممّا تذخر به عمان.

كذلك أفرد الباحثون الأوروبيون اهتمامًا دقيقًا أيضًا بالكيانات الإباضيّة في شمال إفريقيا، والدراسات التي أنجزت في هذا الشأن قد بدأها المؤرخ: ماسكوراي الذي ترجم سيرة ابي زكرياء الوارجلاني إلى اللغة الفرنسية، وكان من آثار تلك المبادرة المبكرة جذب انتباه باحثين ومؤرخين آخرين ساهموا بالفعل بأعداد بحوث في مجالات متباينة من حياة المجتمعات الإباضيّة. قضى مجال التاريخ كتب المؤرخ موتيلنسكي مقالة عن المؤلفات الإباضيّة سجل فيها قوائم شاملة وسعت محتويات تلك المؤلفات عن أئمّتهم وشيوخهم، ومنها "السيرة" لأبي زكرياء، "وطبقات المشائخ" للدرجيني، وكتاب "الجواهر المنتقاة" للبرّادي، وكتاب السير للشماخي، ثمّ قام المؤرخ المذكور في وقت لاحق بعد ذلك بأعداد ترجمة بالفرنسية لتاريخ ابن الصغير المالكي عن أئمّة الدولة الرستمية ثمّ أعدّ ذلك المؤلف للنشر، وتلا ذلك ظهور مراجعات كاملة لتلك المؤلفات الإباضيّة، فقد قام المؤرخ: (لفتسكي) بمراجع "طبقات المشائخ" للدرجيني وكتاب "السير" للشماخي، كما قام الباحث (روبيانتسي) بمراجعة كتاب "الجواهر" البرادي، ولمّا كانت لديه نسخة من كتاب "السير" للوسياتي فقد نشر سلسلة من المقالات معتمداً عيسى تحقيقات ونصوص هذا الأخير، وعلى مصادر تاريخية إباضيّة

أخرى، ولقد احتوت تلك المقالات على مجموعة مواضيع تتعلق ببحوث ورسائل الإباضية، وبمجتمعاتهم وبمختلف أنشطة حياتهم الفكرية والتجارية والسياسية في العديد من الأقطار وخاصة تلك التي تقع في إقليم شمال إفريقيا، هذا وتشير الدلالات الموضوعية على أن دراسات ذلك الباحث هي الأكثر واقعية بين كافة الدراسات التي ورد ذكرها آنفاً على الرغم من عثرات ثانوية ومحدودة جاءت نتيجة التضليل وذلك بسبب الافتقار إلى المعلومات الأساسية التي يُعتمد بها، أمّا المؤرخ (استر وتمان) فقد كان سابقاً في تحقيقه التاريخي الموجز عن إباضية شمال أفريقيا وذلك في مقالته بعنوان: "البربر والإباضية"، وأمّا البحث الأكثر شمولية عن الإباضية وفرق الخوارج الأخرى في شمال أفريقيا فقد أعدّه في فترة لاحقة بعد ذلك الباحث: الشيخ البكري في مقالته: "البربر الخوارج"، هذا بينما استفاد المؤرخون الإيطاليون حديثاً من المصادر والمؤلفات الإباضية وذلك في كتاباتهم عن النزاع السياسي الإسلامي في طبقة الفتنة الكبرى، وأبرز من تناول هذا الموضوع هو الباحث: (قالفيري) وذلك في بحثه حول النزاع بين علي ومعاوية، يليه الباحث: (روبيناتشي) في دراسته التي تناولت العلاقة بين الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان والإباضية.

من ناحية أخرى تناول باحثون أوروبيون النظرية الإباضية في العقيدة من خلال مجموعة من المقالات ظهرت بعد أن قدّم (موتولينسكي) ترجمة فرنسية لكتاب: "العقيدة الإباضية" لمؤلفه عمر بن جميع وذلك في تمام 1905م، وفي وقت لاحق بعد ذلك كتب (نالينو) ملاحظاته حول ما اعتبره تأثير المعتزلة على العقيدة الإباضية، وتبعه زميله المؤرخ: (مورينو) على النمط بخاتمة من التوجه البحثي حسبما يستشف من مقالته: "ملاحظات حول العقيدة الإباضية"، وفي هذا المجال كتب مؤرخ آخر هو (الهولندي سموقرزويسكي) مقالة أثار فيها إلى نقاط الخلاف بين الإباضية والمالكية معتمداً فيما ذهب إليه على بعض أبيات منظمة لشاعر من الإباضية مجهول، وسمّى مقالته تلك: "شعر إباضي لمصدر مجهول حول الخلاف بين المالكية والإباضية"، هذا بينما أعدّ الباحث لفتسكي دراسة موضوعية عن تفرعات الإباضية، وروبيناتسي أضاف لأعماله ترجمة باللغة الإيطالية للدراسة التي

كتبها أبو زكرياء الجناوي في العقيدة الإباضية، كما أعدَّ تحقيقًا عن تلك الدراسة تناول فيه موضوع العقيدة لدى الإباضية ولدى المذاهب الإسلامية الأخرى، ومن ناحية أخرى فإنَّه وحسب هذا التاريخ لم يتمَّ البحث والتدقيق في مضامين الفقه وفلسفة التشريع عند الإباضية بصورة جادٍ وبنهج متعمق، لقد هزت مقالات قليلة تناولت هذه المواضيع، وعلى قلتها فقد تطرقت فقط لبعض الجوانب الثانوية، فالباحث: (روبيباتسي) قدَّم دراسة مقارنة أسماها: " وتناول فيها موضوع الطهارة عند الإباضية وعند المذاهب الإسلامية الأخرى، وهناك مقالة أخرى باللغة الإيطالية كتبها المؤرخ (جربي لاروزا) وتحدَّث فيها عن الدعاة الذين قاموا بنشر تعاليم مذهب الإباضية في شمال إفريقيا معتمدًا في ذلك على كتاب: "سلم العامة والمبتدئين" لمؤلفه عبد الله بن يحيى الباروني، والأعمال الكتابية التي أعدت في هذا المجال باللغة الفرنسية تشمل الدراسة التي كتبها الباحث: (جواشون) (Goichon) بعنوان: " (La vie feminine au M'zab)، وأيضا تلك التي أعدَّها الباحث: (ميو) (Millo) بعنوان: (Receuil de d'eliberations des Djamaa du M'zab)<sup>(1)</sup> والدراسات تطرقت لبعض النقاط والمسائل في القوانين الشرعية عند الإباضية.

هنالك أيضًا بضع مقالات عنيت دراسة نظام العزابة الإباضية، فقد كتب: (لفتسكي) عن حلقة، ثمَّ تبعه (روبيباتسي) بمقالة في الموضوع ذاته حيث تناول قوانين الحلقة، هذه المقالات والبحوث هي الأعمال الرئيسية التي كتبت باللغات الأوروبية وتناولت مؤلفات الإباضية المغاربة، وفي حواشي تلك المقالات وردت ملاحظات محدودة حيثما جاء ذكر موضوع التعصُّب المذهبي الذي كان وليد حركة الانقسام الإسلامي في حقبة الفتنة، ويستنتج من تلك الكتابات أنَّ كافة الباحثين الأوروبيين يعتبرون الإباضية من بين الخوارج.

أمَّا الغالبية العظمى من الباحثين المسلمين من غير الإباضية فإنَّهم يعتبرون الإباضية خوارج منشقين ومتعصبين، ولم يبدلوا أيَّ اهتمام جاد

1 - كذا في الأصل، والصواب: «».

لدراسة أسس وتعاليم مذهب الإباضية من خلال نظرة منهجية وموضوعية حتى تتضح لهم الرؤية الحقيقية للمرتكزات الأساسية التي أقام عليها هؤلاء مذهبهم، وأنه حدث مؤخراً فقط أن اعتبر مذهب الإباضية ضمن المذاهب الإسلامية السائدة وذلك بعد صدور الموسوعة العلمية للقانون الإسلامي في مصر والكويت، هذا الحدث الذي كان له ثقله لم يأت من فراغ، وإنما كان نتاجاً طبيعياً لجهود الإباضية المتواصلة لكسب تفهم وقناعة جيرانهم المسلمين بكيونة مذهبهم وأصالة مبادئه وتعاليمه، تلك الجهود الحديثة قد بدأها سليمان باشا الباروني من منطقة جبل نفوسة، لقد كان مسلماً سياسياً نشطاً، وقام بدور رئيس بارز في الصراع والجهاد ضد الغزاة الإيطاليين في ليبيا في عام 1911م، ومن هنا كانت الانطلاقة لاهتمام مسلمي المذاهب الأخرى بالشؤون الإباضية كنتيجة حتمية لروح النضال الوطني الغيور التي انتهجها الباروني والتزم بها وسط الإباضية بجبل نفوسة في حربهم تلك، هذا إلى جانب ولائه الثابت لقلايمرطورية العثمانية ولجهاده المخلص والصارم لنصرة قضايا المسلمين ولتمكينهم من حقوقهم الوطنية المشروعة في وجه التغول الاستعماري الشرس في تلك المرحلة، هكذا كان سليمان الباروني، وتلك كانت شخصيته التي أهله تلقائياً بأن يكون في موقع مكنه من استمالة وكسب تأييد وسند الجموع الإسلامية على اختلاف مشاربها المذهبية، فكان من أوائل الدعاة لأصل ملته من المسلمين بأن يضعوا جانباً تلك الخلافات التي أفرزها التعارض في الرأي في بعض المسائل بين زعماء المذاهب الإسلامية "وأتباعهم من أهل العالم"، وأن يحتكموا لتعاليم القرآن الكريم وهدى السنة المطهرة وإلى ذلك فإن الهيئة التي كتبتها الدوائر الإسلامية عالمياً من جراء النضال البطولي للباروني ضد الغزو الاستعماري الغربي قد أكسب مساهمة الإباضية في بنية الوحدة الإسلامية التقدير والاعتبار، تلك الوحدة التي كانت شعاراً لمعظم القادة الإسلاميين في ذلك الوقت، ومن ثم كان من الطبيعي أن تنتهي العقليّة الإسلامية لسماع آراء وأفكار الإباضية، هذا وبالإضافة لتأسيس المطبعة البارونية الحجرية والتي كان مقرها في القاهرة وذلك قبيل نهاية القرن الماضي فقد قام سليمان الباروني بتأسيس مطبعته الخاصة في مطلع هذا القرن وقد أصدر براسطتها صحيفته: "الأسد

الإسلامي" والتي اتخذ منها وسيلة لنشر آرائه باذلاً الجهد لتوضيح الرؤية عن الإباضية، كما قام بطباعة ونشر عدد محدود من الكتب لمؤلفين وكتاب عمانيين ومغاربة بما في ذلك "الازهار" مؤلفه الخاص عن تاريخ الإباضية المسمّى بالازهار الرياضية، وأماً بقيّة أعماله ونشاطاته الفكرية التي بدأها في مصر فقد تابعها من بعده المؤرخ والمؤلف الإباضي العلامة أبو إسحاق إبراهيم أطفيش الذي نفاه الفرنسيون من موطنه في وادي ميزاب في الجزائر ليستقرّ في مصر<sup>(1)</sup>، وسرعان ما شرع في إصدار مجلة "المنهاج"، كما ساهم في طباعة ونشر مؤلفات العلامة الإباضي: امحمد بن يوسف أطفيش، وكذلك طبع ونشر بعض مؤلفات العالم العماني الفقيه الشيخ: السالمي، ولقد كان أبو إسحاق طيلة فترة إقامته الطويلة<sup>(2)</sup> في مصر مبعوثاً وممثلاً غير رسمي للإباضية، ومدافعاً عن مواقفهم وعن آرائهم وداعية لنشرها، وكان إلى جانب ذلك مرجعاً متميزاً للافتاء والاستشارة في التراث الفكري للإباضية، ولا جدال في أن مساهماته الاعلامية لذلك التراث قد كانت ذات أهمية بالغة الأثر في بلورة رؤية أكثر وضوحاً لمذهب الإباضية، ولعلّ أوضح الدلائل على ذلك وأكثرها مصداقية على مساهماته تلك قد تمثلت في إصداره لمجلة المنهاج، وفي ملاحظاته التي سجلها عن المؤلفات والكتابات الإباضية التي كان يعدها للنشر، هذا إضافة لملاحظاته الأخرى التي كان يصحح بها وجهات النظر والآراء الخاطئة عن مذهب الإباضية.

وفي تونس وفي الجزائر كذلك كانت نهالك حركة فكرية مماثلة لما قام به العالم أبو إسحاق بن إبراهيم أطفيش، وتبنى هذا الدور في الجزائر نخبة من قيادي "حزب الإصلاح" الذي تمركز في ميزاب، ولقد شارك هؤلاء في فعاليات "جمعية العلماء"، وتجاوز نشاط هؤلاء وأولئك نطاق تحليتهم فامتدّ والتقى بذلك التيار المماثل والذي كان يتفاعل في تونس تحت قيادة الحزب

1 - في الأصل زيادة: «de» وهو خطأ.

2 - الواقع إنّ أبا إسحاق نفي إلى تونس من الجزائر ثمّ من تونس إلى مصر فهو قد نفي مرتين ولذا قال زميله أبو اليقظان الشاعر الصحفي (ففي النفي إثبات) كان ذلك سنة: 1923م.ن.

الدستوري بزعامة: "الثعالبي" عبد العزيز الثعالبي<sup>(1)</sup>، ومن بين أبرز الشخصيات الإباضية: "الثميني" التي قامت بدور فكري هام في تونس، يأتي الراحل محمد الثميني<sup>(2)</sup>، وأصله من ميزاب على رأس القائمة، وقد أسس مكتبة في تونس، وساهم في نشر أدب الإباضية والترويج له، ثم يليه الشيخ الراحل: سليمان الجاروي من جزيرة جربة، وقد كان محررا للصحيفة المشهورة والمسماة: "مرشد الأمة"، وفي الجزائر نجد على رأس قائمة القياديين في نفس الاتجاه: أبو اليقظان إبراهيم، الذي كان يصدر ثمانية صحف إخبارية مختلفة أثناء الحكم الفرنسي، وكذلك الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر الذي تبنى مسؤولية حركة الإصلاح الديني الحديثة التي شهدتها ميزاب بما في ذلك ما تفرع من تلك الحركة من مدارس ومعاهد خاصة بها، والرجلان كانا من العناصر النشطة لجمعية العلماء، وكانا من بين المقربين للعلماء السنيين القياديين لتلك الجمعية، وأخصا في سعيهما الهادف لخلق تقاهم متطور وحميم مع جيرانهم السنيين، ويلاحظ أنّ هذه الجمعية التي تأثرت بدرجة كبيرة بنهج الباروني وأفكاره قد قامت بدور فاعل في تهيئة مواقف المعارضة السنية لللدودة للإباضية، بل هيأت للطلاب الأخير المناخ المناسب لعرض وتوضيح آرائه بأسلوب معتدل، ولعلّ أحدث ثمار ذلك النهج هو ما تواصل حديثا في هذا المجال من قيام الباحث المؤرخ علي معمر من جبل نفوسة مؤخرا بنشر عدّة أجزاء من مؤلفه بعنوان: "الإباضية في موكب التاريخ"، هذا بجانب خطة عمل يهدف من خلالها إعداد دراسة عامّة عن الإباضية في مختلف بلدانهم<sup>(3)</sup>، علما بأنّه سبق لهذا الباحث أن قام بنشر كتب أخرى من تأليفه تتعلّق بالدين وبمسائله المتعددة والمتباينة في الفقه والعقيدة إلخ...، ويعزز هذا المسار مؤلف آخر هو: محمد علي دبوز<sup>(4)</sup>،

1 - عبد العزيز الثعالبي: (ت1940)

2 - محمد الثميني: (ت19).

3 - الإشارة هنا إلى مؤلف الشيخ علي يحيى معمر (الإباضية بين الفرق الإسلامية) الذي طبع مرّات عديدة في الجزائر ومصر وعمان. ولقي رواجاً واسعاً وسمعة طيبة. (م.ن)

4 - محمد علي دبوز، ت1981.

من القرارة<sup>(1)</sup> بميزاب، والذي اضطلع بمهمة إعادة كتابة تاريخ المغرب من وجهة النظر الإباضيّة، وحتّى تاريخ إعداد هذه الدراسات كان قد أنجز كتابةً، وتشر سبعة مجلدات من أصل عشرة يعترزم بها تكملة مؤلفه المذكور، وقد تناول في المجلدات الثلاثة الأولى الأحداث التاريخية القديمة للمغرب في حين أنّ المجلدات الباقية فقد خصصها لمسيرة تاريخ الجزائر الحديث، حيث تناول ثورة الجزائر ونهضتها المباركة، وتجدر الإشارة إلى أن هذين المؤلفين: علي معمر ومحمد علي دبوز هما في الأصل من طلاب الشيخ بيوض، شوقد تأثرا بدرجة كبيرة بأرائه الإصلاحية، فكان أن اتسمت كتابتهما بأسلوب مقنع يحث المسلمين للرجوع للتعاليم الإسلاميّة الصحيحة والتمسك بكتاب الله وبسنة رسوله (ص)، والنائي بأنفسهم عن الخوض في الفرقة والخلاف الناتجة عن التبعيّة بنفر من العلماء ممّن تأثروا بالمبول والاتجاهات السياسية المختلفة، هذا الاتجاه يمثل مساهمة الإباضيّة الصرفة للحملة الإسلاميّة الحديثة التي تنادي بالتمسك بالجذور الأصليّة بديننا الحنيف على هدي الكتاب والسنة، هذه النزعة الإسلاميّة الغيورة التي دعا إليها الإمام محمد عبده، وصفوة طلابه ومن بينهم رشيد رضا ومن بعدهم طلابه الذين اتبعوا نهجهم من خلال جهودهم الحديثة نادى<sup>(2)</sup> بها كذلك الإباضيّة وقوي عملهم في قيام الاطراف الإسلاميّة الأخرى بمحاولة الفهم رالمتعمق بأرائهم وتعاليمهم، ذلك لأنّه تبين لهم أخيراً أنّ خصومهم من الطوائف الإسلاميّة قد تهيأت لهم ظروف موضوعية سياسية في مجملها ليتفهموا المواقف والآراء الإباضيّة التي التزم بها الإباضيّة أنفسهم ودعوا إليها منذ نشأة مذهبهم، خاصّة وأنّ هؤلاء قد شاركوا وبقدر كبير في إنكاء روح الصحوة الإسلاميّة من خلال انخراطهم في معارك الصراع السياسي لتحقيق الاستقلال الوطني لبلدانهم على اختلاف مواقعها وظروف نضالها، ووقفوا جنباً إلى جنب مع جيرانهم السنيين ضدّ تيار الغزو الاجنبي، وفي غضون حقبة النضال الوطني تلك لم يدخروا وسعا في عرض وتوضيح مواقفهم وآرائهم النابعة من أسس

1 - في الأصل هو من بريان وليس من القرارة.

2 - وجدت على الهامش.

ومبادئ مذهبهم سعياً لإزالة سوء الفهم القديم، ولتحرير أنفسهم من إثار العزلة التقليدية التي كانوا يعيشونها بين الطوائف السنية في مجتمعاتهم.

هذا وقبل تذييل هذه المقدمة بأهداف هذه الدراسات أرى ضرورة أن أثبت هنا أن المساهمات والجهود التي بذلها الإباضية تجاه تراثهم الديني والتاريخي وتجاه تراثهم الفكري عموماً قد اتخذت لها اتجاهين يكملان بعضهما بعضاً.

الاتجاه الأول تمثل في الاهتمام النشط والمؤثر في تدوين أدبهم بكل تصانيفه، ومن ثم طبعه ونشره بدءاً من قديمه ومروراً بنتائج الحقبة الزمنية التي أعقبت فترة تأسيس مذهبهم، وشهد آخر عهدها بروز الوطنية القطرية في مواجهة حدّ الغزو الأجنبي، ووصولاً لمؤلفاتهم وكتاباتهم الحديثة التي تلبي متطلبات المعاصرة الحالية.

وأما الاتجاه الثاني الذي سلكه الإباضية فقد تمثل في التزامهم المتواصل والمتجدد في عرض وتوضيح أفكارهم وآرائهم الدينية وسيرتهم التاريخية واستمراريتهم في هذا النهج دون كلل أو ملل، والأخذ بمبدأ الجدل المنطقي الذي يستدل بالهدى الكريم من القرآن ومن السنة المطهرة، وذلك سعياً للإقناع ولكسب تفهم بقيّة المسلمين من غير الإباضية لتلك الآراء والمواقف، كما أود أن أشير هنا إلى أنه وفي مقابل ذلك فإنه وبالنسبة للغالبية العظمى من الباحثين والكتاب الإسلاميين من خارج محيط الطائفة الإباضية فإنه يوجد لديهم الإتجاه العملي الجاد والمستمر لإثراء ساحة البحث بدراسات متعمقة وفاحصة للإباضية من المصادر الأصلية الخاصة بالإباضية أنفسهم، وهي مصادر تنبئ الباحث فيها عن منهج مذهبي مستدل وعن تراث ديني غني في مادته، لكننا ولحسن [؟] الطالع هنالك بعض الظواهر التي تؤكّد حدوث مثل هذا التوجّه والذي بدأ تنبئه من قبل بعض الأساتذة المتخصّصين في بعض الجامعات الحديثة، وهذا الاهتمام الذي هو بدوره اهتمام نوعي وحديث جدّاً، قد تكون إحدى بواعثه القويّة نابعة من مبادرة الباحثين والمؤلفين الأوروبيين بما قدّموه من دراسات وكتابات عن الإباضية من مصادر إباضية هذا على الرغم أن تلك الدراسات لم تكن متعمقة ولم

تبحث في جذور فكر الإباضية، حتى تكن دراسات ذات شمولية وتكامل، والريادة في التوجُّه المشار إليه، كان قصب السبق فيه بجامعة القاهرة التي تمَّ الإشراف فيها على دراسة مقارنة بين قوانين الملكية عند الإباضية وبين قانون الشريعة في ليبيا، وقد أعدَّ تلك الدراسة الطالب: محمد حنبولة، بإشراف الدكتور محمد سلام مذكور<sup>(1)</sup>، وليس من شكِّ في أنَّ أصالة الموضوع وما يتيح من قنوات متجدِّدة للبحث، سيُشجِّع المزيد من البحوث والدراسات المماثلة في المستقبل.

إنَّ الهدف من وراء هذه الدراسات التي نحن بصددِها الآن هو إلقاء المزيد من الضوء لإبراز صورة أكثر وضوحاً لمذهب الإباضية، وذلك من خلال عرض ما هو أصيل من نتاج إباضيٍّ مكتشف حديثاً، هذا وبينما تُعنى هذه الدراسات بشمال إفريقيا من حيث الموقع المكاني فقد كان لزاماً أن تهتمَّ أيضاً بأصول الحركة الإباضية وبمؤسَّسها الأوائل في البصرة والعلاقة مع حركة الخوارج، وتفاعل الإباضية مع الأحداث التاريخية الإسلامية المبكرة، ومع مرحلة التطور السياسي التي أعقبت تلك الأحداث، وأثر ذلك على آرائهم وأفكارهم، ثمَّ توسُّع وانتشار آرائهم في شمال إفريقيا.

كذلك تهدف هذه الدراسات لإعطاء صورة واضحة حول نهج الإباضية في الفقه والعقيدة وإبراز مسائل الاتفاق والخلاف مع الطوائف والمذاهب الإسلامية المعاصرة لهم، هذا مع الإشارة والتركيز على بعض الملامح المميزة والناقصة من تعاليم ومبادئ الإباضية، ومنها على وجه التحديد نظام الولاية والبراءة، ونظام مسحالك الديمن وهو بعبارة أخرى مراحل تطوُّر مجتمع الإباضية.

لقد تمَّ إعداد وتحرير ثلاثة موضوعات ذات سمة إباضية محضة، وثلاثتها جزء من هذه الأطروحة، وذلك لغرض نمادج تفصيلية من الفكر الديني للإباضية في مجال العقيدة والفقه وأصوله وأحكامه، ثمَّ موضوع الولاية والبراءة الذي يقع في إطار المجالين السابقين، هذا وسيتمُّ نشر تلك

---

1 - ظهرت رسائل أكاديمية كثيرة في هذا الاتجاه لطلاب إباضية وغير إباضية في جامعات عربية وأجنبية ساعدت كلها على تقريب الفهم بين المسلمين (م.ن).

## الموضوعات الثلاثة بصورة منفصلة.

هذه الدراسات التي بين أيدينا هي - وبقدر كبير - الأولى من حيث تخريجها اعتماداً على ما تمّ اكتشافه حديثاً من مادّة غزيرة وأصيلّة من تراث جيل العلماء الإباضيّة الأوائل، وتابعيهم من أهل العلم، هذا بجانب التدقيق في المؤلّفات والكتابات الإباضيّة المعاصرة في مختلف المجالات التي تناولها البحوث والدراسات، والأمل كبير بأنّ تفتح هذه المحاولة الأكاديميّة العلميّة أفقاً جديداً في ميدان الدراسات الإسلاميّة، وأن تكون حافزاً لمزيد من البحث والتدقيق في ضوء المادّة الجديدة التي تمّ تناولها وما تمّ التوصلُ إليه من خلاصة، وعلى ذلك فإنّها ضمناً الخطوة الأولى على المستوى الأكاديمي الشخصي لمؤلّفها الفقير إلى الله تعالى؛ وأمل أن تكون خطوة موقّعة تضاف لحصيلة البحوث، والدراسات البنيّة لدراسقو مذهب الإباضيّة دراسة منهجيّة على أساس من الواقع، والتزاماً بالتجرّد والموضوعيّة، على أنّه ما من شكّ في أنّ هناك الكثير ممّا تبقى وينبغي إنجازه، والمؤلّف على ثقة وقناعة بالمسار الذي صار ممهداً لتلك الغاية من خلال النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

## عمر النامي

## الباب الأول

### نشأة الإباضية والآراء الإباضية في فرقة الخوارج

#### عبد الله بن إياض

تنسب الإباضية إلى عبد الله بن إياض المرّي التميمي، ولقد جاء هذا الاشتقاق منسوبا لاسم الأب، لأنه كان أعرف من ابنه وأشهر، وذلك على نسق التعميم في العربية عندما يكون هنالك ما يبرر إطلاق الحكم، والملطي هو وحده الذي يعتقد بأن التسمية منسوبة لاسم مؤسس المذهب، وهو إياض بن عمرو حسب رأيه، هذا ولا يمكن أخذ هذه الإفادة في الاعتبار، ذلك لأن الملطي أورد في نفس مؤلفه معلومات مغايرة عن الخوارج وتتعارض مع كافة النصوص الموثوق بها والمثبتة عن الموضوع ذاته.

عبد الله بن إياض شخصية ورد عنها كم قليل من الأخبار، سواء في المصادر الإباضية أو في غيرها من المصادر التاريخية الأخرى، وأصله من من "بني صريم" بن الحارث بن مقاعس من بني تميم، وهي إحدى القبائل الرئيسية والمتفرعة من "مضر"، ولا توجد إفادة، أو معلومات مدونة عن سيرة حياته في السنين الأولى من عمره، والعلامة الإباضي المشهور: محمد بن يوسف اطفيش يرى أن ابن إياض هاجر من موطن قبيلته في نجد إلى البصرة، وينكور أيضا أن هنالك روايات معينة تقيد بأنه قد كان صحابيا لفترة قصيرة، هذا بينما يرى مؤرخوا الأحداث الإباضية أن عبد الله بن إياض هو من التابعين الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن الهجري الأول، ولا يعرف ما إذا كان قد شارك في حروب الفتنة بين المسلمين التي سبقت قيام حكم بني أمية، ولكن الأخبار تقيد بأنه لم يكن مقتنعا بتولي معاوية للحكم، وانتقده لخرقه هدي القرآن الكريم، ولتعاليم السنة النبوية المطهرة؛ وأول المعلومات المؤكدة لنشاطاته العامة قد كانت حول الدور الذي ساهم به في الدفاع عن مكة المكرمة ضد القائد الأموي حسين بن نمير السكوني، والذي تولى القيادة بعد مسلم بن عقبة (63هـ - 682م).

كذلك كان واحدا من بين القياديين لفرقة المحكّمة، والذين حاولوا

استمالة عبد الله بن الزبير لجانبهم، ومنحوه سندهم التام، واشترطوا لذلك أخذه بوجهة نظرهم، وأن يتبرأ من عثمان بن عفان، طلحة وأبو عبد الله نفسه الزبير بن العوام، لكن عبد الله رفض موافقتهم على آرائهم فتركوه وشأنه، ورجع بعضهم إلى البصرة، وكان عبد الله بن إياض من بين أولئك النضراء؛ هذا ويبدو واضحا أن انطباعهم عن موقف عبد الله بن الزبير من العرض الذي قدموه له قد جعلهم يفقدون الأمل كلية في قيام قيادة قرشيّة قويّة، وموثوق بها بعد أن كانوا يحسنون الظنّ فيه، لذا كانوا على اتّصال معه بعيد ذلك بهكف مبايعته وتنصيبه، وفي غضون تلك المرحلة الزمنية دخلت فرقة المحكمة مرحلة دقيقة وحرّجة، وذلك بالنظر إلى مسألة غياب القيادة، ولقد ظهرت شخصيات عديدة لِكُلِّ منها الاعتبار والمكانة، وكلّ يسعى لتولّي قيادة الحركة من خلال ترجيح وتبني منطق الحرب والقتال، وأوّل هؤلاء: أبو راشد نافع بن الأزرق، الذي أعلن ثورته، واتخذ موقفا متطرفا، وانسلخ باتّباعه من المجتمع الإسلامي مدّعيًا بأنّ الجميع قد أصبحوا مشركين، وأنّ ديارهم قد أصبحت دار حرب، والراية هي راية القتال، ولا مناص من ذلك، هنا ظهر عبد الله بن إياض كرمز قيادي رافضا شعار الحرب والقتال الذي تنبأه نافع وقياديون آخرون من الخوارج، وداحضا لحججهم ومعلنا ذلك بوضوح أمام الملا، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ المصادر التاريخية غير الإباضيّة ترى أنّ ذلك الموقف قد جسّد حقيقة بداية ظهور مذهب الإباضيّة، وأنّ الفضل في ذلك يرجع لعبد الله بن إياض، الذي تعتبر معظم المصادر التاريخية المشار إليها، بأنّه الرمز القيادي الذي قام بتأسيس هذا المذهب.

أمّا إذا تفحصنا المعلومات التي تضمّنتها المصادر التاريخية الإباضيّة نفسها، فإنّنا نجد أنّها تقيد بأنّ دور عبد الله بن إياض قد كان دورا ثانويًا في نشأة الحركة وتجسيد قيادتها، وذلك بالمقارنة مع الدور الذي قام به جابر بن زيد الذي تشير إليه نفس المصادر بأنّه المؤسس والإمام الأوّل للإباضيّة، ويفاد بأنّ كلّ من كان يطّلع به عبد الله بن إياض من خطوات ومواقف ما هي إلاّ بناء على إيماءات وتوجيهات صادرة من جابر بن زيد، على أنّ ذلك لا يقلّ من شهرة ابن إياض من حيث الإشارة المستفادة من بعض

المعلومات بأنه قد كان عالما بارزا في علم العقيدة على عهد الإمام جابر بن زيد، وأنه هو الذي كان يتصدى لأراء ومقولات المناوئين لهم، حيث نحض آراء الجماعات المعارضة هم (1) القدرية والمعتزلة والمرجئة والشيعية وغلاة الخوارج، ومفنداً لادعاءاتهم وحججهم علنا على المنابر، وداعيا لأراء ومعتقدات مذهبه، وذلك على الرغم من أن الإباضية كانوا يحيطون بنشاطاتهم وفعاليتهم بالسرية والكتمان في تلك المرحلة، واستطاع ابن إياض أن يكون جريئا، مسموع الصوت، لأنه كان يتمتع بتميز مكانة ونفوذ قبيلته، مما كان يشكل له حماية ومنعة، وسبب آخر لذلك الأسلوب العلني الذي اشتهر به عبد الله بن إياض، يكمن في أنه ومن بعد التطرف الذي انساق إليه نافع بن الأزرق وأتباعه، وتكفيرهم لجموع المسلمين، ومن ثم انسلاخهم كما ورد نكره، فقد وجد الإباضية أنفسهم ملزمين بالجهر برأيهم حول ما ذهب إليه الأزارقة ومقارعتهم البراهين علنا أمام الناس، لكسب سند عامة المسلمين، وفي غضون ذلك يكونون بمنأى عن مضايقة وملاحقة الحكام لهم، والإشارة لا تزال قائمة بأن تلك المواقف التي كان ينتهجها عبد الله بن إياض ممثلا الإعلام السياسي لمذهب الإباضية في مرحلة نشأته المبكرة إنما كانت تتم خلال التنسيق والعمل وفقا لتوجيه وإرشاد جابر بن زيد، وإلى ذلك فقد أخذت هذه الحركة اسمها مشتقا من ابن إياض لأنه هو الذي تهيأت له ظروف موضوعية لنشر آرائها، ومن ثم كان في الواجهة، فكان طبيعيا أن ينسب اسم الحركة التي يدعو لها لاسمها لا سيما وقد كان معروفا لدى بقية الفرق التي كان يقارعها بالحجج والبراهين، وعلى وجه الخصوص لدى غلاة الخوارج المتطرفين حيث كان واضحا وثابتا في انتقاده لهم، وفي نحضه لأرائهم ومعتقداتهم، وسبب آخر لنسبة اسم الإباضية خرنسبة اسم الإباضية إليه ربما كان للنشاط السياسي الذي كان يمارسه ابن إياض بصورة تلقائية من خلال اتصالاته مع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ومن خلال المكاتبات التي كان يتبادلها معه، والملاحظة التي تجدر الإشارة إليها بهذا الخصوص هي أن الإباضية لم يطلقوا على حركتهم هذا الاسم في بادئ الأمر، وإنما استعملوا مسميات أخرى هي: "المسلمون"، و"جماعة

1 - في الأصل كلمة غير واضحة ولعلها تكرار لكلمة: «القدرية».

المسلمين"، و"أهل الدعوة"، وبالفعل لم يرد ذكر "الإباضية" في مؤلفات علمائهم الأوائل سواء في "المدوِّنة"، لأبي غانم، أو في غيرها من المؤلفات الأخرى التي واكبت نشأة الحركة، فيما بعد ذلك أطلقت الإباضية هذا المسمّى على أنفسهم واتخذوه إسمًا علماً لمذهبهم. والمؤلفات الإباضية المقربة هي التي بادرت بإعلان التسمية؛ وأوّل من أشار بها وسجلها في كتابه هو المؤلّف والباحث عمرو بن فتح سنة 280هـ.

وعودة مرّة أخرى إلى عبد الله بن إياض فإنّه ونتيجة لآرئه ونشاطاته فقد أصبح في عصره شخصية جماهرة، الأمر الذي حدا ببعض الجماعات غير إباضية كجماعة العمريّة، بأن تدّعي زعامته لها، وإلى ذلك فقد ورد أيضاً بأنّ جماعة الحارثية وهم من أتباع الحارث بن مزيد الإباضي لم يعترفوا إلاّ بإمامة عبد الله بن إياض، بعد وفاة إمامهم أبو بلال مرداس.

من ناحية أخرى ليس واضحاً تماماً ما إذا قام عبد الله بن إياض بدور نشط في الحركات الحربية التي وقعت إيّان حياته، إضافة إلى أنّ الكندي ذكره في إحدى القوائم ومعه أبو بلال وعبد الله بن يحيى الكندي ووصفهم بأهم خوارج. وحسب القزويني فقد كان ابن إياض من بين من تمردوا وشكلوا ثورة في بلدة تباله، والشهر ستاني لديه نفس الاعتقادات فقد أشار بأنّ ابن إياض قد كان مع عبد الله بن يحيى في ثورته ضدّ نظام الحكم وسانده في كلّ نشاطاته الأخرى أمّا المؤلفان العمانيان القلماني، وأحمد بن عبد الله الرقيشي [؟]، فقد نكرا كتابهما في كتابتهما بأنّ ابن أباض قد عاش حتّى عهد ملك بن مروان، وكتب إليه أشهر رسائله لكنّهما كبقية المؤلفين الإباضية لم يذكرنا ما إذا امتد به العمر بعد ذلك، وإذا قام بدور في ثورة عبد الله بن يحيى الكندي، والاحتمال بعيد أن يكون ابن إياض قد شارك في تلك الحروب التي حدثت بين الحكام الأمويين ومعارضتهم دون أن يتطرّق لذلك المؤرّخون الإباضية، خاصّة و المؤرّخون الآخرون على وجه العموم ممّن سجلوا وقائع تلك الحروب أمثال الطبري والأصفهاني وغيرهم<sup>(1)</sup>.

من ناحية أخرى نجد أن القائمة التي اشتملت على الشخصيات الإباضية

1 - موضوع الاحالة غير موجود.

القيادية الأولى وهي القائمة للتي أعدها القلماني ، قد ذكر فيه أن عبد الله بن إياض وعروة بن حدير قد كانا من بين طلاب جابر بن زيد ، وعبد الله بن وهب الراسبي أو وزيد بن صحن ، وتشير نفس القائمة إلى أن أبا عبيدة هذا مسلم بن أبي كريمة وفروة بن نوافل ووداعة بن هوثرة أنهم كانوا طلبة علم لدى عبد الله بن إياض ولدى معاصريه من العلماء، هذا بينما تشير القائمة إلى أن عبد الله بن يحي الكندي والمختار بن عوف قد كانا من بين طلاب أبي عبيدة مسلم، وعليه يتراءى أحد افتراضين، أولهما أن ابن إياض قد كان متوفياً عند وفاة جابر، وعليه خلف أبو عبيدة جابر، والافتراض الثاني أنه لم يكن بالشخصية الهامة لكن يتولى زعامة لحركة، والافتراض الأول يبدو أكثر إقناعاً ويمكن تأييده من خلال فحوى المعلومات التي أوردها البغدادي من حيث أن الحارث الإباضي قد تولّى قيادة جماعته خلفاً لعبد الله بن إياض، فابن إياض لم يكن حيناً عندما بدأ الحارث ينشر آراءه حول القدر منقاداً ومعارضاً آراء ومعتقدات العلماء الإباضيّة، وعليه يصعب التصديق بأن ابن إياض كان حيناً في غضون ذلك لأنه كان سييادر التصدي لآراء الحارث، والمصادر الإباضيّة تقيد بأن تلك المهمة قد تولّاها أبو عبيدة مسلم بأن تلك المهمة قد تولّاها أبو عبيدة مسلم<sup>(1)</sup>، وكلّ هذه الحقائق المستخلصة تؤيد ما ذهب إليه الباحث: (لفنسكري) من أن المعلومات التي أوردها كلّ من الشهرستاني والقزويني حول الدور الذي قام به ابن إياض في الحركات المناهضة للحاكم الأموي مروان بن محمد هي معلومات غير مقنعة تماماً<sup>(2)</sup>.

وعلى العموم نجد أن المعلومات التي وردت عن شخصية ابن إياض محدودة الكمّ، هذا إضافة إلى أنّها معلومات متضاربة، وإلى ذلك فإن ابن حزم هو من بين المؤلفين المتقدمين الذين لاحظوا هذه الحقيقة، إذ يذكر بأن أكثر الإباضيّة الأندلسيين علما لم كونوا يعلمون شيئاً عن عبد الله بن إياض<sup>(3)</sup>، والسبب الذي يراه ابن حزم وراء ذلك هو أن ابن إياض قد تخلى

1 - موضوع الاحالة غير موجود.

2 - موضوع الاحالة غير موجود.

3 - موضوع الاحالة غير موجود.

عن آرائه التي كان متمسكا بها وانضمَّ لفرقة الثعالبة، وهي فرقة من الخوارج<sup>(1)</sup>، والذهبي يوافق إلى بن حزم فيها ذهب إليه من حيث تخلى إين إياض عند بدعه (إباضيته!)<sup>(2)</sup> هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المعلومات والآراء لم تتأكد من المصادر الإباضيَّة، وهناك آخر بتضارب المعلومات التي لا يمكن الإعتماد عليها في هذا الصدد نجده في إشارة إين حوقل من أن عبد الله بن إياض وعبد الله ابن وهب الراسبي قد حضرا معاً إلى جبل نفوسة حيث وافتهما المنية فيها<sup>(3)</sup>.

هذا ولعلَّه من الضرورة بمكان<sup>(4)</sup> أن نذكره في هذا المقام حقيقة أن الرأي الذي يعتقده الباحث لفتسكي بأنَّ مرحلة الكتمان التي اتبعتها الإباضيَّة قد انتهجها أولاً إبن إياض<sup>(5)</sup> يتعارض مع الإفادة التي أوردها المؤلفات الإباضيَّة والتي تشير بوضوح إلى أن ذلك المنهج من العمل السري - (الكتمان) قد تمَّ اعتماده وتطبيقه منذ وقت مبكر في ظل زعامة أو إمامة جابر بن زيد الذي كان يشرق على تسيير نشاطات الحركة وعلى تنظيم أتباعها<sup>(6)</sup>، كما أشارت نفس المصادر إلى أن الثورات التي قامت في عهده سواء تلك التي تزعمها: أو بلال أو آخرون قد تمَّ التخطيط لها بواسطة جابر بن زيد<sup>(7)</sup> وهو الرجل الذي تولَّى مسؤولية تأسيسي مذهب الإباضيَّة وأشرق على تطويره.

## آراء الإباضيَّة في الخوارج

يعتبر المؤرخون.

- 1 - موضوع الاحالة غير موجود.
- 2 - موضوع الاحالة غير موجود.
- 3 - موضوع الاحالة غير موجود.
- 4 - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «بإمكاننا».
- 5 - موضوع الاحالة غير موجود.
- 6 - موضوع الاحالة غير موجود.
- 7 - موضوع الاحالة غير موجود.

والكتاب من غير الإباضية، المدرسة الإباضية فرعا منبثقا عن حركة الخوارج، وأنها انفصلت عن التيار الرئيسي لتكون فرقة معتدلة تحت زعامة عبد الله بن إياض، هذه الافادة التاريخية عن مذهب الإباضية قد أثار إليها أولئك الباحثون بصورة متكررة، علما بأنهم قد اعتمدوا في دراساتهم وبحوثهم حول هذا الموضوع على مصادر تاريخية غير إباضية.

هذا ولعله من الأهمية بإمكاننا [كذا] أن نشير هنا إلى أن طبيعة هذا الموضوع وارتباطه بظروف تاريخية سياسية واجتماعية دقيقة تجعل من العسير على الباحثين من غير الإباضية استجلاء الرأي الصواب الواضح المعالم عن الحركة الإباضية، وعن طبيعة علاقتها بحركة الخوارج؛ وسبب ذلك يرجع السرية التي أحاط بها الإباضية تنظيمهم ونشاطاتهم وخططهم في تلك الحقبة المبكرة لتأسيس مذهبهم، والسبب الآخر الذي ذكره ابن النديم، يكمن في أن الإباضية كانوا يخشون تقاقهم الاضطهاد والقمع ضدهم من جهة معارضيهم، الحكام الأمويين، لذا اتبعوا نهج الكتمان إخفاء خططهم الرامية لنشر دعوتهم وبتت تعاليمهم<sup>(1)</sup>، من هنا تستلزم الضرورة العلمية الموضوعية الكشف عن وجهة نظر الإباضية أنفسهم حول أصل وجذور حركتهم وطبيعة فكرهم وأصول مبادئهم وتعاليمهم بالمقارنة مع حركات الخوارج، وذلك اعتمادا على المحتوى الذي تضمنته المصادر التاريخية الإباضية نفسها كما أسلفنا القول.

هذا علما بأن الإباضية قد كتبوا دراسات تفصيلية جسدت آرائهم عن التطورات السياسية المبكرة التي عايشها المجتمع الإسلامي في حقبة الانقاسامات والخلاف وما بعدها، والبرادي أعدد القائمة التالية التي تشمل على الأعمال والأوراق الكتابية والتي تناولت الموضوع محل البحث كما يلي<sup>(2)</sup>.

1- أخبار صفين والنهروان.

---

1 - موضوع الاحالة غير موجود.

2 - موضوع الاحالة غير موجود.

2- رسالة علي بن أبي طالب إلى ابن عباس بعد هزيمة أهل النهر وردُّ ابن عباس عليها.

4- رسالة جابر ابن زيد إلى رجل من الشيعة.

5- رسالة عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان.

6- رسالة أبي بلال مرداس إلى المسلمين عامة.

7- رسالة ابن عبيدة مسلم بن أبي كريمة والحاجب إلى أهل المغرب .

8- رسالة الربيع بن حبيب المتعلقة بعبد الله بن عبد العزيز وأبي المؤرج وشعيب .

9- رسالة أبي الحر علي بن حصين .

10- كتاب سالم بن الحطية الهلالي، معاصرا.

11- كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل.

12- سيرة "رسالة" محمد بن محبوب إلى أهل المغرب.

13- سيرة منير بن النير الجعلاني.

والبراوي يذكر بأنّه قد رأى وقرأ فيما سبق كافة المؤلفات والأوراق المشار إليها عدا سيرة محمد ابن محبوب<sup>(1)</sup> التي ورد أن نسخة كاملة لها محتوية على سبعين جزء قد كانت موجودة في جبل نفوسة وذلك في أواخر القرن الرابع الهجري<sup>2</sup> وأن جزء السادس من تلك السيرة قد كان موجودا في جزيرة جربة في غضون الفترة التاريخية<sup>(2)</sup> نفسها ولا تزال تلك المؤلفات في معظمها موجودة عدا مؤلفات أبي سفيان وابنه محمد بن محبوب، وكتاب سالم بن عطية الهلال ورسالة جابر بن زيد إلى الشيعة ورسالة أبي بلال المرادسي،

إلا أن البرادي كان قد سجل معلومات مفيدة من تلك المؤلفات والرسائل

---

1 - موضوع الاحالة غير موجود.

2 - موضوع الاحالة غير موجود.

التي فُقدت فيما بعد ذلك، وضمن تلك المعلومات في كتاب "الجوهر" (1) بينما سجل الدرجيني في الطبقات معلومات مفيدة أيضا عن الإباضية وعلمائهم المتقدمين وقد استقى تلك المعلومات من المؤلفات أبي سفيان محبوب (2)

وهناك أيضا المزيد من الوثائق الإباضية القديمة التي لا تزال موجودة ويمكن الرجوع إليها والاستفادة منها بشأن هذا الموضوع وهي:

1- سيرة سالم بن ذكوان وهو عالم إباضي وكان معاصرا لجابر بن زيد (3).

2- سيرة شبيب بن عطية العماني (4).

3- سيرة أبي قحطان خالد بن قحطان الهجاري.

وإضافة إلى ذلك فهناك الخطب التي كان يلقيها علماء إباضية ومنهم على وجه الخصوص عبد الله ابن يحيى، والمختار بن عوف في مكة والمدينة وقد تم تدوين تلك الخطب والمواعظ وحفظت من الأندثار (5) إلى ذلك، فإن كل تلك المؤلفات والكتابات والوثائق من إنتاج علماء وكتّاب إباضية من المتقدمين تشير إلى وجهة نظر الإباضية حول التطورات المبكرة والتي طرأت على المجتمع الإسلامي بدأت في شكل معارضة سرعان ما تنامت ضد نهج وسياسة عثمان بن عفان، ثالث خلفاء المسلمين، وما ترتب على ذلك من انقسامات تحزبية اجتاحت أوساط المسلمين وقتذاك، هذا إضافة إلى رأي الإباضية الفرق والطوائف المختلفة التي ظهرت على الساحة الإسلامية في تلك الفترة من التاريخ الإسلامي، وموقفهم من الموجز الذي سيرد فيما يلي مشتملا على رأي الإباضية حول التطور السياسي الذي عايشه مجتمع المسلمين، ورأيهم في الخوارج قد تم استقاؤه من مادة المصادر التاريخية المذكورة آنفا

- 1 - موضوع الاحالة غير موجود.
- 2 - موضوع الاحالة غير موجود.
- 3 - موضوع الاحالة غير موجود.
- 4 - موضوع الاحالة غير موجود.
- 5 - موضوع الاحالة غير موجود.

والإباضية يعتبرون حركتهم إستمراراً لجهة المعارضة التي أطاحت بعثمان بن عفان ثالث خلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وتسببت في قتله، وهم ينظرون إلى تلك المعارضة على أنها كانت بمثابة اعتراض إسلامي مجرد وصريح على المُحدثات التي أتى بها الخليفة عثمان وحاشيته من الأمويين، تلك المُحدثات قد وردت في كتاب صفة أحداث عثمان، وفي رسالة عبد الله بن أباض وفي سيرة سالم بن ذكوان هذا بينما لا توجد إشارة في المصادر الإباضية إلى دور عبد الله بن سبأ في حركة المواجهة الأولى ضد الخليفة عثمان،<sup>(1)</sup> وهذه الحقيقة تقيد بأن الإباضية كانوا يفهمون بأن تلك الحركة المناهضة لحكم الخليفة هي واجب إسلامي قام به صحابة رسول الله (ص) من أجل الحفاظ على سنته الشريفة وعلى النهج الذي سلكه الخليفان من بعده اقتداء بالرسول (ص)، وأن المعارضة لم تكن نتيجة لأي تدخل خارجي أو لتأثير من قوة خفية، ومن منطلق هذا التفهم وأفتوا على أن تؤول الخلافة إلى علي بن أبي طالب، واعتبروا طلحة والزبير والسيدة عائشة وأتباعهم يميلون للفئة الباغية<sup>(2)</sup>، وقد ذكرت المصادر الإباضية بأن كلاً من جابر بن زيد وأبي بلال مرداس قد تحادتا مع السيدة عائشة حول موقفها في واقعة الجمل، ووجها لها اللوم لمعارضتها على ابن أبي طالب الذي أصبح الخليفة الشرعي في ذلك الوقت، وقد أكدت للمرة الثانية ثوبتها<sup>(3)</sup>، وذهب الإباضية في مبايعتهم علي بن أبي طالب إلى درجة معارضتهم له في حربهم ضد معاوية، واعتبروا معاوية وعمرو بن العاص وأتباعها فئة متمردة يجب قتالهم إلى أن يذعنوا إلى الحق<sup>(4)</sup>، وعندما وصلت المواجهة والحرب بين الفريقين، مرحلة التحكيم اعترضوا على موافقة علي بن أبي طالب عليه، وانسجما موقفهم هذا إنجاز الإباضية إلى الفرقة التي اعترضت على مبدأ التحكيم ورفضته جملة وتفصيلاً واعتبروا أنفسهم الفئة المسلمة التي هي على الحق والاستقامة، واعتبروا زعيمهم عبد الله بن وهب الراسبي هو

1 - وجدت هذه الجملة على الهامش: .Ref: 45 is not shown.

2 - موضوع الاحالة غير موجود.

3 - موضوع الاحالة غير موجود.

4 - موضوع الاحالة غير موجود.

الخليفة الشرعي الخامس<sup>(1)</sup>، ومع تطور الاحداث وقيام علي ابن أبي طالب بمحاربة أهل النهر وقتلهم، أنكر الإباضيّة عليه، وأعلنوا أنّه لا يمكن محقا في قتالهم مطلقا، وعقب أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة على خطاب علي بن أبي طالب الذي علق على الشاعر الذي كان يرفقه أهل النهر ونصه: (لا حكم إلى الله) بأنّه كلمة حقّ أريد بها باطل، عقب أبو عبيدة مسلم على ذلك بقوله: أنّه إذا علم علي بأنّ ذلك الشاعر قد عبر عن كلمة الحقّ فمن الذي أخبره بأنّ النية من ورائه قد أريد به الباطل.

وإلى ذلك فقد ورد في مؤلفات جابر بن زيد، بأنّه عندما تراءى لعلي بن أبي طالب انخرط عقد أتباعه نتيجة لذبح مسلمين أبرياء على درجة كبيرة من الورع والتقوى في معركة نهروان، وأبدى أسفه على هول أفعال أتباعه، وأشار إليهم في اليوم التالي من المعركة بأنّ يبحثوا عن شيطان بين جنث القتلى من أهل النهر، ثمّ كان أن يجيئ بجثة رجل كان قد عظه حمل في صدره، فقال علي لأتباعه: أن ذلكم الرجل هو الشيطان، وعندما ذكره ابنه حسن بأنّ الرجل هو: (×)<sup>(2)</sup>، وأنّ نافع هو صحابي أيضا وشارك في الجهاد أسكت على ابنه قائلاً له: بأنّ الحرب خدعة، هذه المعلومات التاريخية توضّح بأنّ زعامة الإباضيين الأوئل قد كانوا على اليقين بأنّ علي لم يكن محقاً في حربه ضدّ أهل النهروان، وأنّ منطلقه في تلك المعركة قد كان لأغراض دنيوية ولم يكن يسعى لإحقاق الحقّ وإبطال الباطل على عكس حال أهل النهر.

هكذا كان رأي الإباضية تجاه تلك التغيرات السياسية حسب معايشتهم وفهمهم لأحداثها، ولقد كانت المحكّمة بالنسبة لهم هي الفرقة الوحيدة التي كانت تبذل مساعيها لإعادة الخلافة الإسلاميّة الحقّة لمراسيها كما كان الحال في عهد الخليفين أبي بكر وعمر

طيلة السنوات الست الأولى من حكم عثمان وصولاً للسنوات الأولى عهد علي إلى ما قبل موافقته على مبدأ التحكيم، لكن النزاع الحربي الذي كان

1 - موضوع الاحالة غير موجود.

2 - وجدت بهذا الشكل: يراجع الأصل، الترجمة غير واضحة حيث علامة (×).

نتاجاً لوافقة هذه الفرقة قد انتهى بمأساة مذبحة أهل النر على يد علي بن أبي طالب وقواته (37هـ-658م)، وكذ لك مقتل أهل النخيلة على أيدي القوات المشتركة لكل من معاوية والحسن بن علي<sup>(1)</sup>،

لقد تلى مرحلة الأحداث المأساوية السالفة الذكر أن استطاع بنوا أمية تثبيت حكمهم الذي كان من بين أهم أولوياته منع ظهور أي معارضة، وبالتالي كان على كل من المتعاطفين مع فرقة المحكّمة أو (المسلمون) أو (جماعة المسلمين) حسب ماكان يطلق عليهم في المصادر التاريخية والمؤلفات الإباضيّة التي كتبت في ذلك الوقت، كان لزاماً عليهم أن يخفوا يكتموا إيمانهم وعقيدتهم فيما كان يعتقدون أنه الحقّ القويم وبيّاشر نشاطهم سرّاً<sup>(2)</sup>، وكان من بين هؤلاء ممّن كتبت لهم النجاة من مذبحة النهروان، عروة بن أدية وأخوه أبو بلال مرداس<sup>(3)</sup> وقد استمروا في نشاطهما إنطلاقاً من البصرة كمقر لها، وقد كان معروفاً عنهما تمسكهما بالولاء لدينهما وكانا من بين قادة الجماعة المسلمين في البصرة، هذا ولعلّ أبابلال المرّداس قد كان زعيم تلك الجماعة في البصرة نفسها، فقد كان من بين ثلاثة رجال الذين جاھروا بملاحظتهم حول خطبة الجمعة الأولى التي ألقاها زياد بن أبية في جامع البصرة، وكان قد تمّ تنصيب الأخير والياً على البصرة، وخراسان وسجستان من قبل معاوية<sup>(4)</sup>، كما ورد بأنّ أبا بلال مرداس وجابر بن زيد قد كانا على صلة وثيقة ببعضهما البعض في تلك الفترة، وكان أبو بلال ليقضي كثيراً من الوقت مع جابر بن زيد، وكما وردت الإشارة سابقاً فقد قاما معاً بزيادة السيدة عائشة وتناقشا معها حول موقفها في واقعة الجمل<sup>(5)</sup>، هذا وفي غضون تلك الفترة آلت زعامة جماعة المحكّمة إلى جابر بن زيد الذي كان تقياً ورعاً في دينه، وأصله من قبيلة الأزد وهي

- 
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

نفس القبيلة التي ينتمي إليها عبد الله بن وهب الراسبي الذي كان "أول" (1) من انتخب زعيماً لتلك الفرقة، ومجمل القول فقد كانت مهام ونشاطات جابر بن زيد ذات طابع روحي وفكري، لذا استطاع أن يباشر في بث التعاليم الإسلامية ويحافظ على نمط منتظم في هذا السبيل دون أن يثير شكوك السلطات الأموية، ولقد أتاح له مركزه مفتياً بارزاً في البصرة غطاءً مفيداً ساعده في تكوين اتصالات واسعة مع شخصيات قيادية، في بقاع مختلفة على امتداد المجتمعات المسلمة في الدولة الإسلامية (2)، لقد كانت سياسة جابر تعتمد على الاستفادة من كافة الوسائل الممكنة لتأمين السلامة لتحركاته وتحركات أتباعه، وبلغ المدى في تطبيق تلك السياسة أن أمر باغتيال أحدهم ويسمى خردلة لأنه كشف للسلطات الأموية أسماء أعضاء تنظيم الإباضية بالبصرة بما في ذلك كشفه لأسرارهم (3)، كذلك أجاز جابر أسلوب الرشوة لتفادي مضايقات عمال الولاية الأسبويين في عهد ولاية عبيد الله بن زياد.

هذا ولقد نتج عن الاضطهاد الكثر ايد والمستمر على أفراد فرقة المحكمة في البصرة على أيدي عبيد الله بن زياد أن أجبر بعضهم على تصعيد ردة الفعل لديهم وبعنف، وهذا التصعيد أدى لمزيد من حالات الإعلام في أوساط أعضاء الفرقة التي واجه أفرادها صنوفاً من المعاملة القاسية مروراً بالحبس والسجن والقتل (4)، وحتى النساء تعرضن للمعاملة الوحشية (5)، هذا الموقف جعل من المستحيل على زعماء الحركة أن يكونوا في أمن ناهيك أن يجدوا لهم فرصة لنشر آرائهم والدعوة لتعاليمهم، وفي هذا (6) المرحلة من تاريخ الحركة، تم إقرار مبدأ الشراء ويعني التضحية بالنفس، وذلك وفق نظم خاصة ضمن مبادئ التنظيم، وبالفعل تم تنفيذ هذا المبدأ من قبل أربعين رجلاً من أعضاء الحركة بقيادة أبي بلال مرداس الذي أعلن بوضوح أنه

- 
- 1 - وجد في الهامش: P. II, LINE .
  - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 6 - كذا في الأصل، والصواب: «هذه».

ليس سيحارب فقط أولئك الذين يحاربونه، وأنه لن يسلب أو يأخذ غنيمة، فقط من حقة العطية<sup>(1)</sup>، وفي واقع الأمر فإن ما أعلنه أبو بلال مرداس كان بمثابة الاعتراض الصريح على سياسات الاستعراض التي كان يتبعها بعض الخوارج ممن عرفوا بتعاطفهم مع فرقة المحكمة<sup>(2)</sup> من قبل مجيئ أبي بلال، كما كان ذلك الاعلان أيضاً بمثابة البداية للتنفيذ العملي لمبدأ الشراء أو التضحية بالنفس ولمبدأ القعود ويعني السكوت في ظل حكم سلاطين الجور، وعدم الخروج للجهاد منذ ظلمهم وذلك أثناء مرحلة الكتمان، هذا إضافة لتأييده لمبدأ التقية، وأنه بهذا لم يكن لدى أبي بلال أيّ اعتراض على العمل وفق المبدأين الأخيرين: القعود التقية، وقد نصح أحد النساء واسمها البلجاء<sup>(3)</sup>، بإخفاء معتقدها وآرائها الدينية عندما سمع بأن عبيد الله بن زياد قد قرّر معاقبتها<sup>(4)</sup>، وإلى ذلك فإنّ أبو بلال مرداس وأتباعه ومن بعد أن هزموا جيشاً مكوناً من ألفي مقاتل أو يزيد، فقد قتلوا جميعاً في معركة لاحقة بعد ذلك أثناء تأديتهم الصلاة<sup>(5)</sup>، والمصادر الإباضية قد ذكرت بأنّ تلك الثورة التي قادها أبو بلال قد نمت الموافقة عليها والتخطيط لها بواسطة جابر بن زيد أن يظل بالبصرة متبعاً سياسة نقادي العنف.

هذا ومن الملاحظة أنّ العلاقة بين الإباضية وبين خصومهم قد بينت على الأسس التالية:

أ- على الإباضية محاربة من يحاربونهم وأن لا ينتهجوا سياسة الاستعراض.

ب- يجب عدم سلب ممتلكات خصومهم من المسلمين كمغانم، وأن لا تقتل نساؤهم أو أطفالهم أو أن يؤخذوا سبايا، وهذا المبدأ قد عمل به اقتداءً بما فعله المسلمون في حربهم ضدّ عثمان وأتباعه، وطبقه علي في حربه ضدّ

- 
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 3 - وجد في الهامش: «أ.11».
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

طلحة والزبير عندما كان الخليفة الشرعي.

ج- الخروج للجهاد ليس إجبارياً، ويمكن للمسلمين أن يعيشوا في ظل حكم سلاطين الجور وهم يخفون دينهم باتباع أسلوب التقية عندما تستدعي الضرورة.

د- مبدأ الشراء أو الفداء بالنفس هو مبدأ تطوعي لمجموعة من أربعين رجلاً فأكثر عندما يقرون ذلك على أنفسهم.

هذه المبادئ قد أصبحت السياسة المميزة والسيرة الواضحة الملامح للمسلمين والتي لا ينبغي أن تتعرض لأي تغيير، وقد وافق عليها زعماء الإباضية باعتبارها من السنة التي استنّها رسول الله (ص) وذلك طيلة نضاله الشريف لبناء المجتمع ولترسيخ قواعد الدولة الإسلامية وإقامة شرع الله<sup>(1)</sup>، ولقد حافظ الإباضية على هذه المبادئ دون خرق حسب تأكيدهم ذلك إلى أن قام نافع بن الأزرق بثورته حيث انتهج نهجا معاكساً، ولقد عبر عبد الله بن إياض عن ذلك بقوله: (نشهد الله بأننا بريئون من ابن الأزرق وأتباعه، إذ عندما قاموا بالثورة، كانوا على طريق الإسلام، لكنهم هجروه فيما بعد وأصبحوا<sup>(2)</sup>كفارا<sup>(3)</sup>).

وحركة ابن الأزرق كانت الانشقاق الأول والخطير لفرقة المحكّمة، والتعاليم والأفكار التي كان يدعوا إليها ابن الأزرق قد خلقت ردود فعل مختلفة في الوسط القيادي للمحكمة تجاهه هو وأتباعه<sup>(4)</sup>، وقد اعترض كل من جابر بن زيد وعبد الله بن إياض على آرائهم، ودافعا عن المبادئ القديمة لفرقتهم ودعيا<sup>(5)</sup> للتمسك بها.

هَذَا الموجز عن التطور الذي حدث في أوساط فرقة المحكّمة يوضح بأن زعماء الإباضية لم يدخلوا أو يضيفوا أي أسس أو مبادئ جديدة على مسألة

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - وجد في الهامش: «المراجع».

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

5 - كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: «وداعيا».

"الخروج" أو على العلاقة بين أتباعهم وبين بقية المسلمين سواء في السلم أو في الحرب، والذي شدّدوا فيه هو الاستمرار في الدعوة لتعاليمهم وآرائهم التي أعلنوها من قبل، سواء في فترة الاقتتال بين علي ومعاوية، أو سواء في حقبة ثورة أبي بلال مرداس فيما بعد ذلك، ومن ناحية أخرى أكدوا على رفضهم لآراء نافع بن الأزرق ومن سلك مسلكه من زعماء الخوارج الغلاة أمثال نجدة وداوود، ولخرقهم المبادئ والنظم التي سار عليها سلفهم، وموقف الإباضية بهذا الشأن قد عبر عنه سالم ذكوان في كلماته التالية:

فأمرنا تبع لأئمة المسلمين قبل نزول الفتنة للمسلمين يوم قتلوا عثمان ويوم الجمل ويوم أنكروا تحكيم الرجال في دينهم ورأينا اليوم لرأيهم تبع يومئذ وتأويلنا القرآن اليوم لتأويلهم يومئذ تبع، لسنا ميمّن يزعم أنّه أفاد اليوم علما في القرآن والسنة حتّى غلبهم<sup>(1)</sup>.

هذه هي الكيفية التي كان الإباضية يفهمون بها مبادئهم والتي عيتقدون أنّها ليست سوى مبادئ المحكّمة قبيل انفراط نافع وبقية الخوارج المتطرفين الذين هم في نظرهم "المارقة" الذين خرجوا من الدين وأطلقوا عليهم وصفا لفرقة حصينة، ورد ذكرها في حديث لرسول الله (ص)<sup>(2)</sup> إذ يقول: «يخرج فيكم قوم يحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامكم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر في النصل، فلا ترى شيئا وتتمارى في الفوق»<sup>(3)</sup>.

وبالنسبة للمصطلحين "خوارج" و"خروج" فقد استعملها الإباضية بمعنى الشروع في الجهاد<sup>(4)</sup>، وفيما بعد قصر بعض المؤلفين الإباضية استعمالها على الخوارج المغالين الذين سلكوا طريقا مخالفا لمبادئ

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

لمحكّمة<sup>(1)</sup>، ولكن معظم العلماء الإباضيّة الأوائل، وأيضا بعض المؤلفين العمانيين قد استعملوا الكلمتين (خروج، وخوارج) بما يعني الإشارة للإباضيّة، وخصّوا غلاة الخوارج بتعبير "خوارج الجور"<sup>(2)</sup>، واستعملوا أيضاً كلمتي: "شراء" و"شراءات" بدلاً من خروج وخوارج) هذا على الرغم من أنّ كلمتي شراء وشراء، قد كان لهما معنى خاصاً من قبل في العقيدة عند الإباضيّة<sup>(3)</sup>، وعند الإشارة للمحكمة وأصل النهر وأهل النخيلة وأبي بلال وأتباعه فقد استعملوا التعبيرين "المسلمون" و"جماعة المسلمين" وذلك على نحو مألوف، وأيضا أطلق المسمّيان [كذا] الذكر، إضافة لمسمى "أهل الدعوة" من قبل الإباضيّة للإشارة الرمزية لاتباع مذهبهم.

## المسائل التالية هي التي كانت محل خلاف بين الإباضيّة

### والخوارج

#### 1- مسألة الخروج:

المبدأ الذي أعلنه نافع بن الأزرق يشير إلى أنّ الخروج أو الهجرة إجباريان لفرقة، واعتبر أنّ دار خصومهم المسلمين (المخالفين لهم) هي دار حرب، واعتبر أولئك الذين لا يخرجون للحرب أي القعدة [كذا] هم عبدة أو ثان بنصّ الآية القرآنية (... وإئن أطعتموهم إنكم لمشركون)<sup>(4)</sup>، هذا المبدأ يناقض المبدأ الذي سارت عليه المحكّمة من حيث أنّ خصومهم المسلمين هم ببساطة كفار، وليسوا بمشركين وأنّ أتباع فرقة المحكّمة يمكنهم العيش وسط خصومهم، وشرعوا لهم القعود دون إلزام بالخروج أو الهجرة، وفي واقع الأمر فإنّ زعماء المحكّمة الأوائل قد كانوا أكثر وضوحاً فيما

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

يختصُّ بمسألة القعود، وأقرُّوا بأنَّها حقٌّ شرعيٌّ لأتباعهم، وقد ذهبوا في ذلك إلى المدني الذي بايعوا فيه عبد الله بن وهب الراسبي إماماً وفضَّله على معدان الإيادي<sup>(1)</sup>؛ لأنَّه قال: <sup>(2)</sup> إنَّ الإباضيَّة يحافظون على عقيدة <sup>(3)</sup> المحكِّمة الأوائل ويرفضون بشدَّة ربي نافع كما يؤكِّدون أنَّ كلتا الفرقتين التاليتين أولئك الذين يظهرون الجهاد، أولئك الذين لا يبديون أي حركة أو نشاط أو ما يسمون بالقعدة كلُّهم مسلمون وهؤلاء يناصرون أولئك الذين يظهرون الجهاد ويؤيدون باعتقادهم كما أنَّ المذكورين أخيراً يعفون عن عجز أولئك الذي يبديون حركة أو نشاط<sup>(4)</sup>، هذا المبدأ قد تمَّ التعبير عنه فيما بعد في إطار الحديث الشريف عن رسول الله (ص)<sup>(5)</sup>: (لا هجرة بعد الفتح)، وقد استعمل هذا النصُّ إجمالاً في معظم كتابات الإباضيَّة في العقيدة للتعبير عن لأبيهم في مسألة الهجرة أو الخروج<sup>(6)</sup>.

2- معاملتهم لخصومهم المسلمين، المخالفون لهم: الأزارقة يعتبرون مخالفيهم مشركين، وعلى ذلك ديارهم دار حرب، ويحلُّون قتل نساءهم وأطفالهم أو أخذهم أسرى وسلب أموالهم، ومن ناحية أخرى منع الأزارقة أتباعهم من أن يرثوا خصومهم أو أن يتزوجوا منهم، كما ولهم الحقُّ في إنكار حقهم في ودائعهم ومصادرتها<sup>(7)</sup>.

هذه المبادئ التي أقرَّها الأزارقة وطبَّقوها في تعاملهم مع خصومهم من المسلمين إعتبرها الإباضيَّة ضلالات، ذلك لأنَّ الأزارقة قد عارضوا آراء المسلمين وخرقوا سيرتهم، ولقد قام كلُّ من جابر بن زيد وعبد الله بن إياض بدحض تلك المعتقدات وأعلنَّا براعتهما منها<sup>(8)</sup>، وسلكا المسلك نفسه تجاه

1 - وجد في الأصل مسطر.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - وجد في الأصل على الهامش: «هذه ترجمة تعدُّر الحصول النص الأصلي».

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

5 - موضوع الإحالة غير موجود.

6 - موضوع الإحالة غير موجود.

7 - موضوع الإحالة غير موجود.

8 - موضوع الإحالة غير موجود.

جماعات الخوارج الأخرى كالصفرية والنجديات وغيرهما، هذا على الرغم من أن جماعة النجدات تخالف الأزارقة في بعض المبادئ.

إلى ذلك رأي الإباضية أن ما ذهب إليه نافع وبعض الخوارج هو قطعاً بدع خطيرة، فاعتزلوا جماعاتهم وفندوا<sup>(1)</sup> معتقداتهم؛ بل وحاربوهم<sup>(2)</sup>، وسيرة سالم بن زكوان هي من بين الوثائق الإباضية القديمة التي تناولت مسألة غلاة الخوارج وآرائهم، هذا ولعلّه من المفيد هنا رصد آرائه في هذا الموضوع؛ لأنه يمثل رأي عالم إباضي بارز وكان معاصراً للخوارج، هذا إضافة إلى أن رأيه يعبر عن وجهة النظر العامة للإباضية حول الخوارج.

لقد بدأ سالم بن زكوان سيرته ببيان تفصيلي عن مسار الدين الإسلامي منذ بداية نزول الوحي حتى حقبة علي بن أبي طالب خليفة المسلمين الرابع قبل موافقته على التحكيم، وبعد ذلك تخلى زعماء المحكمة وأتباعها عنه وذهبوا في طريقهم يسعون لإقامة شرع الله على الأرض حسبما كانوا يرون أنه الحق وأرواحهم فداء لذلك، وأورد ابن زكوان<sup>(3)</sup> الموجز التاريخي التالي عن المحكمة والأحقين من أتباعهم ووصف سيستهم وسيرتهم كما يلي:

ثم تتابعت على ذلك خوارج المسلمين يحكمون الله وحده ويرضون سبيل من مضى قبلهم من المسلمين لا يقتلون ذرية قومهم يستحلون فروج نسائهم ولا يستعرضونهم ولا يخمسون أموالهم يقطعون الميراث منهم ويؤدون الأمانة إليهم وإلى غيرهم، ويوفون بعهودهم ومن غيرهم ويأمن عندهم الكاف والمعتزل من قومهم من غير أن يكونوا يشكون في ضلالتهم ولا تخاذلهم بين الحق والباطل منزلة، وليس بعد الحق إلا الضلال، ويصلون الرحم، ويعرفون حق الجار، والصاحب واليتيم وابن السبيل، وما ملكت أيماهم، ويتولى ماضيهم وقاعدتهم لماضيهم الفضيلة التي أعطاه الله، يتحابون بحب الله ويتولى بعضهم بعضاً ابتغاء مرضاة الله ويواسي غنيهم

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: «ذكوان».

فقيرهم ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، إذا مضت منهم طائفة تركوا لمن خلفهم من أوليائهم على عدوهم الحجة الثابتة عند نوي العقول، والعلم بأمر الله فمضى على ذلك بشر كثير من المؤمنين<sup>(1)</sup>.

ثم بدأ ابن نكوان في توضيح الطريق الذي سلكه الأزارقة ومواقفهم كما يلي:

ثم<sup>(2)</sup> خرج من بعدهم ابن الأزرق وأصحابه فمكثوا ما شاء الله يسيرون بسيرة من كان قبلهم من الخوارج، ثم إنهم حرمهم شنآن قوم أن أنزلوهم بمنازل عبدة الأوثان فقطعوا الميراث منهم وحرموا مناكحتهم وقد ناكحهم من يتولون ووارثهم، فإن يكن ذلك هدىً وعمل به من يتولون فقد خالفوهم فيه ودانوا اليوم بالبراءة ممن عمل به وإن يكن ذلك ضلالة ضلوا بتوليتهم من عمل به، واستحلوا سبا قومهم واستكاح نسائهم وخمس أموالهم وقتل ذراريهم واستعراضهم ولم يكن من يتولون يستحلون شيئاً من ذلك من قومهم فإن يكن الذي عمل به من يتولون من قولهم هدي فقد خالفوهم وأبوا أن يجيروا من استأجرهم من قومهم حتى يسمع كلام الله وهم يشهدون أنهم بمنازل عبدة الأوثان.

وقال الله لنبيه: { وإن أد من المشركين استأجرك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون } (١).

فقالوا: قد سمع قومنا كلام الله فلا نجبرهم، فقد سمع المشركون الذين أمر الله بجوارهم كلام الله، فقالوا: قد سمعنا لو تشاء لقلنا مثل هذا، { وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون }، وقالوا: { آيت بقرآن غير هذا أو بدله } ثم أجارهم نبي الله كما أمره وجعلوا للقوم محبة، وأبوا أن يقبلوا ممن أتاهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإقرارهم بحكمهم، وهم يزعمون أنه حكم الله.. وبرئوا من كل أعرابي، وإن كان يتولاهم ويشهد لهم بالحياة ويسأل الله أن يرزقه مثل الذي رزقهم من جهاد أعدائه، وقد قال الله:

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - وجد في الأصل: «المرجع».

{ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألاّ إنَّها قرابة لهم سيدخلهم الله في رحمته إنَّ الله غفور رحيم} وكفروا قعدتهم واستحلوا دماءهم وأموالهم وحرّموا ولآيتهم والإستغفار لهم وقد علموا ذلك منهم فإن يكف ذلك هدى عمل به من يتولون تولّى كافراً فقد كفروا هم بولآيتهم إياهم على تولي الكفار فزعموا أنما يكفرون فعذبهم بكفرهم إياهم دونهم وقد أمرهم الله أن يؤبوا<sup>(1)</sup> ثم يتابع بن زكوان فيناقش رأي الأزارقة فيما يخص مبدأ التقيية فيقول:

- فقد مكث مؤمن آل فرعون ما شاء الله أن يمكثَ كاتباً إيمانه فلم يردده الله عليه بكتمانه إياه وقد قالَ الله: ( لايتخذِ المؤمنونَ الكافرينَ أولياءَ من دون المؤمنينَ ومن يفعل ذلكَ فليس من الله في شيء إلا أن نتقوا منهم تقاهُ ) فحرضَ اللهُ المؤمنينَ في التقيّة وكيف يتقي المؤمنونَ الكفارَ إلا بأنّ يظهرُوا لهم ما يحبون ويكتموهم دينهم مع أنّهم إذا خرجوا كانوا أكتّم ما كانوا قطُّ لدينهم وذلك الرجل يأتيهم فيقول: أعرضوا عليّ دينكم فيقولون: لا ولكن أخبرنا أنتَ به فإن أخطأ شيئاً ممّا في أنفسهم قبلوه في [ ... ] من المعاصي ليسَ كلّها تحصى من استحلال أكل الأمانات التي أمرَ اللهُ بالوفاء بها و أوفى بها المؤمنونَ ويشهدونهم أن النفاق قد رُفِعَ وإن أحداً لا يستطيع أن يكون منافقاً ويشهدونَ أن الله يغفرُ للزاني والسارق صحابة تجيرُ من النفاق أجات صحابة نبيّ الله إن قبلوا دعاهم إليه من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهو الإسلام {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين } بعد ذلك ينطرقُ ابنُ زكوان لأراء نجدة أتباعه داحضاً مبادئهم الزائفة التي ذكرَ من بينها على سبيل المثال :

(أ) بينما يعتبرونَ مخالفيهم من المسلمينَ مشركينَ فإنَّهم في الوقت ذاته يتزوجونَ منهم ويأكلونَ ذبائحهم , ومنعوا أخذ الجزية منهم , واستوفوا لهم ما يستوفيه مخالفوهم المسلمون من حقوق لأصل التّمة , هذا على الرغم من أنّهم يعتبرونَ المسلمينَ المخالفينَ لهم هم من المشركينَ .

(ب) - إعتقدوا بضرورة الهجرة من دار مخالفيهم المسلمينَ كما هاجرَ

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ

ويشيرُ ابنُ زكوانِ إلى أن داوودَ وجماعته قد أنكروا آراءَ ومعتقداتِ النّجّاتِ ووافقهم على ذلكَ عطيةَ وجماعته وأبو فديكٍ وجماعته حيثُ لم يوافقوه على نقاطٍ معينةٍ واتّهموه بأنّه على ضلالٍ بشأنهم ثمّ فارقه داوودُ وأصحابه وعطيّة وأصحابه وأبو فديكٍ وأصحابه في أمورٍ نَقَموها عليه وزعموا أنّه قد ضلَّ بها وليس الذي فارقه فيه بأكثر من الذي جامعوه عليه من سبي أهل القبلة وقتل ذراريهم واستكاح نسائهم وخُمس أموالهم واستعراضهم وقطع الميراث منهم فكلّهم بحمد الله ضالُّ تاركٌ للحقِّ تابعٌ لهواه بغير هدى من الله وهم في ذلك معترفون فيما بينهم , وأشار ابن زكوان إلى مبادئٍ أخرى خاطئة تميّز بها أولئك أمثال نافع وداوودَ وعطيّة وأبوفديكٍ وأتباعهم.

هذا ولقد وردت معلوماتٌ مماثلة في مصادر تاريخيةٍ إياضيةٍ أخرى تناولت هي أيضاً التّعاليم والمبادئ التي ابتدعتها الخوارج الغلاة بالإضافة إلى مناقشة آرائهم ودحضها بشدّة استناداً لما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرتِ وفي آثار السلف الصالح الذي اتّبعه المسلمون الأوائل والمحكّمة , وبجانب ذلك فقد اهتمّ الأئمّة الإباضية المتقدّمون بأن تكون سياستهم واضحةً جداً تجاه تلك المسائل , إذ عندما سأل عبد الله بن يحيى الكندي أئمّة الإباضية في البصرة مسألة الثّورة على الحاكم فقد كتب إليه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ثاني أئمّة مجتمع الإباضية في البصرة وشاركه في الكتابة إليه رفقاً من أهل العلم يقولون له: (إذا خرجتم فلا تغلوا ولا تغدروا واقتدوا بسلفكم الصّالحين وسيروا سيرتهم فقد علمتم أنّ الذي أخرجهم على السّلطان العيبُ لأعمالهم).

أمّا الخطوط العامّة لسياسة الإباضية فيما يتعلّق بصلاّتهم وتعاملهم مع بقيّة المسلمين فقد عبّر عنها عبد الله بن إياض في بيانه المشهور حيث قال: «لا نقول فيمن خالفنا إنّهُ مشرك لأنّ معهم التّوحيد والإقرار بالكتاب والرّسول , وإنّما هم كفّار للنّعم ومواريتهم ومناكيحهم والإقامة معهم حلٌّ ودعوة الإسلام تجمعهم».

هذا البيان أكدّه وكرّره المؤرّخون والكتّاب الإباضيّة الذين عاصروا ذلك الجيل الأوّل كسالم بن زكوان وعبدالله بن يحيى الكندي وأبو حمزة المختار بن عوف.

عبد الله بن يحيى الكندي أوّل أئمّة الإباضيّة بحضرموت واليمن قال في كتاب تقويضه لعبد الله بن محمد أحد ولّاته: «نحن لا نشدُّ طريق القوم ولا نقتلهم بمجرد الاطّلاع عليهم من غير أن ندعوهم أوّلاً إلى إدراك الحقيقة؛ ولكننا ندعوهم إلى الحقيقة نفسها؛ فهو إذا أقرّ بها فإنه يتمتع بكلّ ما يتمتع به المسلمون (الإباضيّة) ويكون خاضعاً لكلّ العهود والإلتزامات التي يفرضونها عليه؛ ولكن الذي ينكرها ويقاثلنا نقاتله، ونطلب من الله التأييد والتوفيق للانتصار عليه».

ومبدأ دعوة الناس وإعطائهم فرصة لفهم آراء الإباضيّة وانتضارهم لإقرار وتحديد توجّههم أوّلاً هو مبدأ عبر عنه الإباضيّة مراراً وتكراراً ولقد أعلنوا دائماً وبوضوح أنّهم يقاثلون أعداءهم فقط عندما يبادرهم عدوهم بالحرب أوّلاً؛ والأمثلة التطبيقية العملية لهذا المبدأ الإباضيّ تتجلى باستمرار في كلّ حقبة تاريخهم؛ بينما تظل سياسة قتل الخصوم دون سابق إنذار وهي السياسة المعروفة بالاستعراض تظل ظاهرة مميزة لفرقة الأزارقة في كلّ أزمانهم ولقد كانت تلك الظاهرة أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت بالإباضيّة للاعتراض على الأزارقة ومواجهتهم وبقية الخوارج المتطرفين ورفض عقائدهم وتوجهاتهم الأخرى المتطرفة التي ينظرون من خلالها إلى خصومهم المسلمين على أنّهم مشركون ذلك الاعتراض وتلك المواجهة ممّا تبنّاه وأظلع [كذا] به الإباضيّة قد عبر عنه وفي صور مختلفة عبد الله بن يحيى وأبو حمزة المختار وسالم بن زكوان في مواقف عديدة؛ لقد كتب عبد الله بن يحيى يقول: «هذه هي سيرتنا فنحن لا نهتدّهم لنجبرهم على السلام، ولا نربص بهم ولا نعاقب البريء نيابة عن المذنب ولا الصالح بدلاً من الطالح ولا المرأة نيابة عن الرجل ولا الصغير نيابة عن الكبير ولا نقتل المذنبين من غير دعوتهم وإرشادهم إلى الحقيقة أوّلاً وجعلها واحة أمامهم». كما وكتب أيضاً في نفس خطابه يقول: «من يقاثلنا قاتلناهم بالمثل ونعاين

أملكه من أجل أن تعود إلى أصحابها، أولئك الذين يحمل حقوقهم ونسلم إليه ما يمتلكه بسبب أنه لم يسبب أي إساءة لأي أحد ونوصله إلى أحفاده وورثته ولا يمكن أن تؤخذ الغنائم والأسرى من أهل القبلة وهم كذلك لا يعدون كمشركين الذين تغنم أموالهم وتؤسر نساؤهم وأولادهم ولكن أهل القبلة على فريقين:

- فريق يدعو إلى ما هو حق مؤمن به إيماناً راسخاً.  
- فريق يدعو إلى الظلم والجور ويصر عليه»<sup>(1)</sup>.

وأبو حمزة المختار بن عوف كان من بين الإباضية المشهورين في البصرة، ثم أصبح أهم القادة العسكريين للإمام عبد الله بن يحيى الكندي في حروبه ضد الطغيان الأموي؛ لقد قال أبو حمزة مخاطباً المسلمين في المدينة المنورة: «أيها الناس إننا نخيركم في ثلاث خلال أيما شئتم فخذوا لأنفسكم، رحم الله امرأ أخذ الخيار لنفسه، إمّا قائل بقولنا ودائن بالذي قلناه حلمته نيته على أن يجاهد معنا بنفسه فيكون للمجاهد منّا ومن قسم هذا الفيء ومالاً، وعارف بهذا الأمر مقيم في داره يدعو إليه بقلبه ولسانه فعسى أن يكون أحسن منزلة منّا؛ وثالث كره قولنا فليخرج أمنا على أهله وماله ويكف عناده ولسانه فإن ظفرنا ولم يعرض نفسه لم نسفك دمه وإن نحن قتلنا كان قد كفى موتتنا وعسى أن لا يعمر في كفره إلا قليلاً...»<sup>(2)</sup>.

### ملاحظة: صفحة 56 مشطبة؟؟؟

النص الأصلي:

(نرى حقّ الوالدين وحقّ ذي القربى وحقّ اليتامى وحقّ المساكين وحقّ أبناء السبيل وحقّ الصاحب وحقّ الجار وحقّ ما ملكت إيماننا علينا حقّاً أبراراً كانوا أو فجّاراً ونؤدي الأمانة إلى من استأمننا عليها من الناس كلّهم من قمنا أو من غيرهم ونوفي بعهود قومنا من أهل النمة ونردّض على أهل

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

الذمة - إن استطعنا - الذي يأخذونهم به من الظلم من قومنا أو من غيرهم ونجبر من استأجرنا من قومنا ومن غيرهم حضرة القتال الكاف المعتزل حتى يخلو إليهم الأمر من غير أن نكون نشك في ضلالتهم ولا نخادهم بين الحق والباطل منزلة وليس بعد الحق إلا الضلال فإذا أخلي إليهم الأمر دعوناهم إلى كتاب الله ومعرفة الحق وموالاته أهلهم ومفارقة الباطل ومعاداة أهلهم فمن عفا عنهم الحق وأقرّ به وتولانا عليه توليناه وحرمانا دمه وإن ينفر معنا، ومن أنكر حق الله منهم واستحب العمى على الهدى وفارقة المسلمين على مجامعتهم فارقتاه وقتلناه حتى يفيء إلى أمر الله أو يهلك على ضلالتهم من غير أن يكون نراهم نزلوا منازل عبة الأوثان فنستحلّ سباهم وقتل نراهم وخمس أموالهم وقطع الميراث منهم، ولا نرى الفتك بقومنا وقتلهم في السر وإن كانوا ضلالا ما دما بين ظهرانيهم نظهر لهم الرضى بالذي هم عليه و ذلك أن الله لم يأمر به في كتابه ولا نعلم أحدا ممن مضى محمداً بن أولياء الله في الأمم الماضية استحلّ شيئاً من ذلك وهو بمنزل منزلتنا فنقتدي بسنتهم في ذلك ولم يفعله أحد من المسلمين ممن كان بمكة بأحد من المشركين فنفعله نحن أهل القبلة!).

(فقد أمر الله نبيه أن ينبذ إلى من خاف منه خيانة فقال: {وإمّا تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إنّ الله لا يحبّ الخائنين} (سورة الأنفال: 58) ويكره أن يتكلف أحد من المسلمين مع ملوك قومه ما كانوا على ضلالتهم وذلك أنّ الرجل المسلم إذ هو غزا معهم فدعاهم إلى طاعتهم إنّما يدعوهم إلى طاعة قوم يشهد أنّهم كفار فلا ينبغي له أن يدعو الناس إلى طاعتهم فإن أجابوه إليها برئ منهم وإن فارقوه عليها استحلّ قتالهم إنّما يصير المقاتل معهم على أحد منزلتين ما على ولايتهم ورضي بأمرهم، وإمّا على نصرهم وتسيّد سلطانهم ونرى مناكحة قومنا وموارثتهم لا تحرم علينا ماداموا يسقبلون قبلتنا لأنّ المسمين قد كانوا يناكحون المنافقين ويوارثهم وهم يعلمون ويظهر منهم من المعاصي أكثر ما يظهر اليوم من كثير قومنا ولا نرى أن نقذف أحداً ممن يستقبل قبلتنا ثمّ لا علم لنا به فإن كثيراً من الخوارج يتحلون في دينهم قذف من يعلمون أنّهم برئ من الزنا من قومهم بفرأقهم زعموا إيّاه ولعلمهم لا يكونوا كلموه قطّ، ولا أخبرهم عنه أحد ممن

يتولون أنّه كلمه ولا يدرون على ماهو، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعلمون} مع أن من استحل ذلك منهم لو أن بعض أوليائه دعاه لغير الله لم يستطع ذلك، غير ير إذا كانت أمّة من قومها، وإن كان يعلم أمّة محصنة لفرجها بريئة مما قد قذفوها به، ونحن نعلم بحمد الله ونعمته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يجلد المنافق والمنافقة، وهو يعلم أنّهما منافقان قاصران وإنّما يحمله على ذلك استقبالهما للقبلة، وإظهارهما تحريم الزنا في دينهما والبراءة ممن زعم أن الزنا في دينه حلال، ولا نرى لاستعراض قومنا ماداموا يستقبلون القبلة من قبل أن ندعوهم إلى مراجعة الحق، والأخذ به لأنّ الله رضي الدعاء لنبيّه وأمر به وأهل الإيمان، وقال الله: {يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً} وقال: {أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين} وقال له: {قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين}، وقال: {ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}، ثمّ قال: {ومن أحسن قولاً ممن دعى إلى عمل صالحا وقال إنني من المسلمين}. ولا نرى قتل صغير من أهل قبلتنا لا ذنب له ولم يعمل ممّا اختلف فيه، ممن يستقبل القبلة بينهم بذنوب أكبر قد غفل أمر الله وعلم الأمر الذي اختلف الناس فيه ثمّ جهل بعد العلم وعمي بعد البينة. وإنّما نرية من يستقبل القبلة اليوم في ذلك بمنزلتهم ولو كان عليهم إمام هدي يحكم عليهم بطاعة الله ففارقهم بعض آبائهم، ولا نرى أن يستحلّ فرج امرأة رجل تزوّجها بكتاب الله وسنة نبيه حتّى يطلقها زوجها أو يتوفى عنها ثمّ تعتدّ عدّة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها؛ ونبراً ممن ظهر لنا منه عمل هو لله معصية أو ووعده الله عليه العذاب وأمر بفراق من عمل بذلك العمل والبراءة منه أو يتولى عليه حتّى ينزع ويحدث منه توبة ولا نرى أن يتولى أحداً من الناس أحد إلاّ أظهر لنا منه معرفة حقّ الله وعمل بطاعة الله وموالاة لأوليائه ومفارقة لأعدائه ولا

نرى انتقال الهجرة مندار قومنا كهجرة النبي (ص) وأصحابه من دار قومنا، ولكن يخرج منخرج منأ مجاهدا في سبيل الله على طاعته فإن هو رجع إلى دار قومه توليناه إذا كان عارفا لحق الله مقرا به في نفسه وماله ونرى أن نتولى المرأة والمملوك على الخروج إذا ما نحن علمنا منهما قبل الخروج الرضى بالحقّ والمعرفة له والموالاة عليه ولم يخرجهم إلا الرغبة في الإسلام والأثرة على ما سواه لأنّ الله يقول: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم}. ولا نرى النفر من المسلمين أن يبايعوا إمامهم إلا على الجهاد في سبيل الله والطاعة بالمعروف حتى يهلكوا على ذلك ويظهروا على عدوهم فيولوا الأمر أفاضلهم وفقهائهم أنفسهم ونتولى ماضيينا وقاعدنا، ويعرف لماضيينا الفضلية التي أعطاه الله<sup>(1)</sup> اهـ.

### تنقص صفحة: 61.

هذه النقاط التي تناولها سالم بن زكوان كما ورد أعلاه، وما استشهد به من أي الذكر الحكيم، لا تمثل الآراء والمبادئ الإباضيّة حول المسائل التي ناقشها فحسب بل تتضمن رفضا صريحا وحاسما لكل آراء ومواقف الخوارج من تلك القضايا، وقياسا على ذلك يتضح لنا بصورة جليّة أنّ ما احتوت عليه المؤلفات والمقالات الإباضيّة القديمة فيه دلالة قويّة على أنّه ليست هنالك ثمة نقطة اتّفاق بين الإباضيّة والخوارج؛ وحقيقة الأمر اختلف الإباضيّة مع هؤلاء في كلّ ما ذهبوا إليه من مبادئ وتعاليم. بل سارع الإباضيّة إلى نقضها من أساسها النظري الذي ابتدعه أولئك الخوارج، ودحض أقوالهم وأفعالهم بالحجج والأدلة القاطعة، ونقطة الاتفاق الوحيدة بين الطرفين قد كانت في توافق الطرفين حول المحكّمة.

هذا وقد تناولنا رأي الإباضيّة في الخوارج وحركتهم، فلعله من المفيد أن نتعرّف في إيجاز لأرائهم في حكام بني أميّة والشيعة ممّن عاصروهم،

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

والاختيار الموفق الذي يجمع بين الإيجاز والوضوح في هذا المقصد يقودنا مباشرة إلى ما تضمنته إحدى خطب أبي حمزة المختار بن عوف في المسلمين بالمدينة المنورة، حيث عبّر فيها بجرأة وصدق الداعية عن رأي الإباضيّة في الفئتين المذكورتين. فلقد تحدّث في خطبته تلك عن أفعال الأمويين واحدا تلو الآخر بدأ من معاوية وانتهاء بيزيد بن عبد الملك، وأخبر عن حكمهم وسلطانهم فقال:

«ياأيها الناس إنّ الفسقة بني أمية سلطانهم سلطان ربوبية، وبطشهم بطش جبرية، يأخذون بالظنة ويحكمون بالهوى، ويقتلون بالغضب، ويعفون بالشفاعة ويؤمنون الخائن، ويقضون نوي الأمانة، ويأخذون الصدقة على غير فريضتها ويضعونها في غير موضعها، وقد سمى الله أصحابها فجعلها بين أصناف ثمانية، قال تعالى: **{إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل}** (التوبة: 60)؛ فأقبل صنف تابع ليس منهم فأناخ بين ظهرانيهم، فقال الأرض أرضنا والمال مالنا، والناس حولنا، فأخذها كلها، فتلك هي الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله»<sup>(1)</sup>.

وعن فرقة الشيعة قال أبو حمزة قولته الصريحة:

«وأما إخواننا من هذه الشيعة فليسوا بإخواننا في الدين، لكن سمعت الله عزّ وجلّ قال في كتابه: **{إنّا خلقناكم من نكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا}**، شيعة ظارة بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله، لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن ولا عقل بالغ في الفقه ولا تفتش عن حقيقة الصواب قد قلّدوا أمرهم أهوائهم وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم غيّا كان أو رشدا أو ضلالة أو هدى ينتظرون الدول في رجعة الموتى، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ويدّعون علم الغيب لمخلوقين لا يعلم أحدهم ما في داخل بيته بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه أو يحويه جسمه، ينقمون المعاصي على أهلها ويعلمون إذا ظهروا بها ولا يعرفون المخرج

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

منها جفاة في الدين قليلة عقولهم قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم ، وزعموا أنّ موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة وتتجيبهم من عقاب الأعمال إلى السيئة، قاتلهم الله أن لا يؤفكون فأى الفريقين يا أهل المدينة تتبعون؟ وأي من إليهم [كذا] تقتنون؟<sup>(1)</sup>».

وتحدّث أبو حمزة في خطبته تلك عن حزبه الإباضيّة مبينًا ما يدعون إليه ودوافعهم وراء ذلك فقال: «يا أهل المدينة ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه (ص)، والقسم بالسويّة والعدل في الرعيّة، ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها» ثمّ يتابع أبو حمزة يصف جماعته موضحًا أهدافهم ودوافعهم وأسباب ثورتهم فيقول: «يا أهل المدينة؛ أتعلمون أنّ لم نخرج من ديارنا وأموالنا أثرًا ولا بطراً ولا عبناً ولا لهوًا، ولا لدولة ملكٍ نريد أن نخوض فيه، ولا لثأرٍ قديم نيل منّا، ولكننا لم نرى أين الأرض قد أظلمت وعالم الجور قد ظهرت، ومصاييح الحقّ قد عطلت، وكثر الادعاء في الدين وعثّف القائل بالحقّ، وقتل القائم بالقسط وعمل بالهوى، وعطلت الاحكام، ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وسمعنا مناديا ينادي إلى الحقّ وإلى طريق المستقيم وإلى طاعة الرحمن وحكم القرآن؛ فأجبنا داعي الله، {ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين} (الاحقاف: 32)، فأقبلنا من قبائل شتّى... فأصبحنا والله بنعمته إخوانا<sup>(2)</sup>» وإلى ذلك (ليس هنالك شكٌ...) هكذا يقول البروفيسور: ماكدونالد، معلقًا على خطبة أبي حمزة.. (من أنّ هؤلاء الرجال هم الممثلون الحقيقيون للنهج الاسلامي من نبعه البكر القديم، لقد ادعوا أنّهم ورثة أبي بكر وعمر فكان ادعائهم صادقًا، وقد أخلصوا النية عندما وقفوا في وجه تيار الطغيان الذي أراد للإسلام أن يكون تديّنًا علمانيًا في ظل حياة الترف والطموحات الدنيويّة فحلّ النزاع وانحلّ رباط الأخوة بين المسلمين لكنّ هؤلاء استبرؤوا لدينهم وقاوموا ذلك التيار الذي أراد أن ينحرف بعقيدتهم الاسلامية وأخلصوا لدينهم واتبعوا طريق الاستقامة الذي ورثوه من السلف الصالح، وهو

1 - نص المرجع.

2 - يراجع النص في الأصل: الغاني مثلاً.

الطريق الذي لا يزال خلفهم محافظا عليه في عمان وفي شرق إفريقيا وفي الجزائر...»<sup>(1)</sup>، هَذَا وَلَعَلَّهُ مِنَ الْمَفِيدِ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا أَنَّ الْبِرُوْفَيْسُورَ مَآكُونَالِدَ، وَهُوَ يَسْجَلُ كَلِمَاتِهِ هَذِهِ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مِنَ الْإِلْمَامِ مَا يَسْتَطِيعُ بِهِ التَّمْيِيزَ بوضوح بين الإباضيَّة والخوارج، والملاحظة التي لا جدال حول واقعيتها هي أَنَّ هَذَا المعنى الذي عبر عنه هَذَا المؤرخ يظل معنى موضوعيا حقيقيا فقط، إذا كان المعنيون به هم الإباضيَّة.

## جابر بن زيد الأزدي مؤسس المذهب الإباضي

هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الجوفي من بني عمرو بن اليعمد، وهو فرع فجيبرة من قبيلة الأزدي وهو من بلدة (فرق) التي تقع بين (منح) ومدينة (نزوى) في عمان<sup>(2)</sup>، وفرق هي البلدة التي من المحتمل أن تكون مسقط رأسه، ومنها هاجر وتبعته أسرته ليقيم في درب الجوف في البصرة، وبلدة درب الجوف اسمها مشتق من اسم المنطقة التي كانت تقطنها قبيلة جابر في عمان<sup>(3)</sup>، ولقد ذكر ياقوت منطقة في عمان تعرف بمنطقة جوف الجميلة، وكان يسكنها الأزديون<sup>(4)</sup>، هَذَا وَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَيْضًا أَنَّ عَائِلَةَ جَابِرٍ قَدْ لَحِقَتْ بِهِ فِي الْبَصْرَةِ فِي رَفَقَةِ جَيْشِ كُوْتِهِ عَمَّانَ بْنِ أَبِي الْعَصِ لِمَحَارَبَةِ الْفَرَسِ، وَكَانَ مَعْظَمُ أَفْرَادِ ذَلِكَ الْجَيْشِ مِنَ الْأَزْدِ، وَوَقْفًا لِمَا ذَكَرَهُ السَّامِيُّ فَقَدْ هَزَمَ الْفَرَسَ، وَقَتْلَ قَائِدِهِمْ (شَاهْرَاك) أَوْلَاكَ ابْنَ الْحَمْرَاءِ، وَتَابَعَ الْجَيْشُ تَقْدَمَهُ حَتَّى فَازَ وَنَزَلَتْ كِتَابَتُهُ فِي تَوْجٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ وَاصَلَتْ مَسِيرَتَهَا حَتَّى الْبَصْرَةَ الَّتِي كَانَ يَحْكُمُهَا الْوَالِي عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ<sup>(5)</sup>، هَذَا وَنَقَدَ

- 
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

أوردت بعض المصادر التاريخية بأن مقتل قائد الفرس كان على يد جابر بن حدير اليمدي<sup>(1)</sup>، وهو من نفس قبيلة جابر بن زيد، وهذه الافادة ترجح ضمناً ما سلف من قول بأن أفراد أسرة جابر بن زيد قد كانوا ضمن ذلك الجيش، وأنهم قد استقرُّوا في البصرة، في عهد خلافة عثمان بن عفان، والشيخ السالمي يرى أن جابراً قد ولد في فرق في عمان ثم ارتحل إلى البصرة طالباً للعلم<sup>(2)</sup>، ولعلَّ هذا الرأي هو محل جدال بالنظر إلى الافتراض أنَّه إذا كان بالفعل قد سافر فقط طالباً للعلم؛ لكان قد عاد إلى عمان ليجمع شمله بأسرته ولكنَّه في واقع الامر قد أَسقام في البصرة واستقرَّ فيها طيلة حياته، وحول ميلاده فقد ذكرت المصادر التاريخية تاريخين الأوَّل سنة: 18هـ الموافق لسنة: 639م<sup>(3)</sup>، والتاريخ الثاني هو عام: 21هـ الموافق لسنة: 641م<sup>(4)</sup>، هذا وبينما لا تتوفر أيّ معلومات عن طفولته وفترة نشأته الأولى ولا عن سيرة والديه تؤكد بعض المصادر بأنَّ جابراً قد كان موجوداً في المدينة المنورة في نفس اليوم الذي يبيع فيه أبو بكر خليفة للمسلمين<sup>(5)(6)</sup>، وسنتابع في هذه الدراسة مسيرة تعليمه وتحصيله.

إنَّ العلوم الإسلاميَّة بفروعها المتعدِّدة وأصولها المتعمقة لم تكت قد استنبطت وتكامل تصنيفها بعد في ذلك الوقت، من عمر جابر، فقد كانت هنالك أجدبيات القراءة والكتابة في ذلك الوقت، ثمَّ بدأ نور القرآن يشعُّ في أوساط المسلمين الذين أقبلوا عليه حفظاً وترتيلاً إضافة إلى الاهتداء بما بدأ ينتشر من تعاليم السنَّة النبوية المطهرة والافتداء بها وصولاً إلى نبع ثقافيٍّ جديد بدأ على مهل ليثرى حياة المسلمين الدينيَّة والاجتماعيَّة، وقد تمثَّل ذلك في مبدأ الفتيا الذي أسسه ورعاه الخلفاء الراشدون الأوائل والعلماء البارزون

- 
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 5 - لا نرى لهذا الرأي أية قوَّة لأنَّه يتضارب مع المعلوم من حياة جابرتضاربا واضحا. (م.ن)
  - 6 - موضوع الإحالة غير موجود.

من الصحابة الذي كانوا يعلمون الناس أمور دينهم وينصرونهم بها، ومن حسن طالع جابر أنه عاصر عددًا كبيرًا من الصحابة الأجلاء، فقد أدرك سبعين منهم ممن شهدوا بدر الكبرى، ورافقهم وتعلم على أيديهم، وأخذ عنهم الكثير من العلوم والأخبار وكل أحاديث رسول الله (ص) التي كانت معلومة لديهم<sup>(1)</sup>، كما قابل السيدة عائشة أم المؤمنين مستفسرًا عن سنة رسول الله (ص) وسائلا عن الكثير مما كان يتصل ببع جوانب حياتها الخاصة<sup>(2)</sup>، هذا إلى جانب مناقشته لها حول ما استجد في حياة المسلمين من صروف وأحداث سياسية كان لأم المؤمنين دور رئيسي فيها<sup>(3)</sup>، هذا وإلى جانب تلقيه العلوم عن السيدة عائشة وعبد الله بن عمر وابن مسعود وأنس بن مالك فلقد كان أستاذه الرئيسي الذي تتلمذ عليه وأكثر من ملازمته هو الصحابي عبد الله بن عباس<sup>(4)</sup>، أصغر الصحابة سنًا وأكثرهم تفقهًا في الدين وغزارة في العلم، وكان يلقب بحبر الأمة والبحر نظرًا إلى علمه الفنى للقرآن وتفسيره، ولإلمامه الواسع لسنة رسول الله (ص)، ولقد كان جابر صديقًا مقربًا إليه طالبا أثيرًا عنده<sup>(5)</sup>.

هكذا نجد أنه قد توافق مع رغبة جابر بن زيد الصادقة للعلم والتحسين وجود خيرة الصحابة العلماء ومعاصرتهم لهم، ولم يكن يدخر وسعًا ليستقي من المعين الذي لديه كيف يشاء، وهكذا ثبت تلقيه علم الحديث عن الصحابة العدول، ممن كان يلتقي بهم في البصرة والمدينة ومكة، ثم كان يغتم مناسبة الحج ليلتقي بالمزيد منهم ممن كانوا يفيدون من مختلف الانصار الاسلامية لأداء مناسك الحج. ولقد ذكر أنه سافر بين البصرة ومكة ما لا يقل عن أربعين مرة كلها من مناسبات الحج<sup>(6)</sup>، ليلتقي بالصحابة من أهل الفقه وحفظة الحديث، ومما لا شك فيه أن هذا التواصل وذلك الترحال الدائب يدل

- 
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 6 - موضوع الإحالة غير موجود.

دلالة قاطعة على رغبة جابر الجامعة وطموحه الذي لم يكن يثنيه عناء للإمام لسنة رسول الله (ص) قولاً وفعلاً، وكان لا يتردد ولا يخشى أن يطول سفره لأي مكان ليجمع هذا الأثر الشريف، وذكر أنه سافر إلى ديار بني عمرو بن حزم الانصاري في قضاء المدينة المنورة، ليسألهم عن الرسالة التي بعث بها الرسول (ص) مع أبيهم عمرو بن حزم لأهل اليمن وتعلق بموضوع الزكاة، وطلب منهم الاطلاع عليها، فأجابوه<sup>(1)</sup>.

فإن السعي الحثيث والعزم لا يلين من جملة ما اتَّصف به جابر بن زيد في حله وترحاله طالبا ودارسا للعلوم ومتلقيا من كلِّ مصدر موثوق، وهو به جعله يحيط بقدر كبير وواسع من المعرفة في علوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والفتيا. مما جعله محل ناعة أستاذه الصحابي عبد الله بن عباس بحيازته قدراً كبيراً من العلم؛ وقد روي أن ابن عباس قال: «لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول أبي الشعثاء لأوسعهم علماً مما في كتاب الله»<sup>(2)</sup>، ووصفه بأنه من العلماء وقيماً أنه قد اكتسب علماً واسعاً ولا حاجة للرجوع لأي مصدر فقهي آخر بما في ذلك شخصه هو (ابن عباس) إذا ما أفتى جابر. وورد أيضاً أن رجلاً من البصرة واسمه الربيع، سأل ابن عباس عن رأيه الشرعي حول بعض المسائل بعينها فقال له: «كيف تسألونني وفيكم جابر بن زيد»، ويتفق صحابة آخرون، أمثال عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله الانصاري مع ابن عباس فيما ذهب إليه من وصف لمكانة جابر العلمية وإيماءاته عنه، وروى البخاري عن جابر أنه قال على سبيل استشعاره عظم المسؤولية من الموقف الذي يحكيه عندما كنت أؤدي الطواف حول الكعبة، قابلني بن عمر صدفة وقال لي جابر: أنت واحد من علماء البصرة، سوف يأتي الناس إليك ويستفتونك ولهذا لا تزودهم بأي حكم شرعي إلا إذا أعلن عنه صراحة في القرآن أو السنة الصحيحة، وإلا فسوف تصبح ضالاً وتفقد الناس إلى الضلال»<sup>(3)</sup>.

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

وذكر أيضاً أن زيد بن جبير سأل الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري عن مسألة بعينها وبعد أن أدلى له برأيه فيها، قال له: «لماذا تسألني وأبو الشعثاء بينكم؟»<sup>(1)</sup>، ولعلَّ هذه شهادة إضافية بأنَّ جابر بن زيد قد كان من أبرز علماء وفقهاء البصرة، ونجد أنَّ محمد بن محبوب قد كان من بين من أشاروا بالبنان إلى جابر مؤكداً علو مكانته العلميَّة، وأنَّه يضاهي الحسن البصري في هذا المقام<sup>(2)</sup> ومن ثمَّ كان من الطبيعي أن يصبح مفتي البصرة<sup>(3)</sup>، حيث أنَّه قد كرَّس جلَّ وقته في الفتوى إلى جانب حرصه الشديد على تدريس علم الحديث لتلامذته ولطالبي لعلم، وإكسابه لهم من معين تلك العلوم الدنيَّة التي برع فيها وأجاد، وإذ تجد أنَّ جابراً قد تنبأ مكانة رفيقه بين التابعين البارزين من أهل العلم والمعرفة المتعمقة في الدين فإنَّ مساهمته في نقل لعلمه وتنقيفه لِمَن حوله من المسلمين في ذلك المجتمع الإسلامي الناشئ يمكن فهمها بوضوح من خلال آلية الدور البليغ الأثر الذي قامت به فئة التابعين الذين تلقوا العلم مباشرة عن الصحابة الأجلاء، وأخذوا عنهم المعرف التطبيقية الشاملة والمتعلقة بأمر دينهم وديناهم، فكانوا بذلك الورثة المخلصين فَمَ أخلصوا في نقل تلك العلوم لطلابهم ولمن لازمهم وحسبما وردت الإشارة متكررة من أنَّ جابراً قد لازم

ابن عباس ملازمة وثيقة، وبما أنَّ ذلك البحر المتفقه في الدين قد عاصر الأحداث العظام التي أثارَت أسباب النزاع والفرقة في ذلك المجتمع الإسلامي الحديث النشأة، ومن ثمَّ كانت له مواقف تجاه معظم تلك التطورات، فقد استطاع جابر هو الآخر أن يرقب مسارها عن كثب، ويفهم الأسباب والدوافع ما ظهر منها وما بطن ويدرك ما وراء توجهات الأطراف المعنية بها، ولا شكَّ في أنَّه قد تعلم كثيراً وهو يتابع المستجدات المتلاحقة على الساحة الإسلاميَّة التي بدأت بالخلاف والنزاع المدني في عهد خلافة عثمان، مروراً بتطوراتها الحربية والنتهاء بهيمنة معاوية على الحكم.

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

هكذا لم يكن جابر وهو مقيم في البصرة وقد كانت إحدى أهم مراكز الأحداث السياسية في تلك الحقبة التاريخية (28هـ-93هـ). لم بمعزل عمّا كان يترى من أحداث من حوله، بل استطاع بنهجه المتميز بالنكاه والتدقيق أن يفهم فهما واقعياً مجرياتها وتطوراتها ومراميها المعقدة، ويدرك دوافعها السياسية والدينية، ومن ثمّ كانت الرؤية لديه واضحة ومتكاملة الأبعاد، وعليه يمكن الإقرار بأنّ النتيجة الحتمية التي لا شك أنّ جابر بن زيد قد استجاب لمقتضياتها هي أولاً: إدراكه الفطري لمسؤولية ما قد أصبحت على عاتقه بحكم كونه رجل علم ودين، كان يرى المكانة التي أصبح على أعاليها الظلم والضلال والطغيان، وتلك التي آل إليها الحقّ، وما كان الرجل في مثل مكانته من التقوى والورع وقوّة الإيمان إلا أن يعلم أكثر من غيره أنّ ميثاقه قد أخذ عنه/عليه، وأنّ الإصلاح وإقرار الحقّ ونصرة الدين هي من بنود ذلك الميثاق، وأنّ استنساخه لتلك المسؤولية هو امتداد طبيعي لما وهب له حياته من تعليم الناس الذين من حوله أصول دينهم وتبصيرهم ليحفظوا إيمانهم ويحفظوا الحقّ ويبطلوا الباطل. وثانياً: وترتّباً على ما تقدّم كان جابر بن زيد بصيراً بالمسار الذي اختاره لتحقيق الأهداف التي كانت تتراءى له من خلال التزامه الثابت باعتباره رجل دين على استقامة تامّة، وانهاجه لأكثر السبل فاعلية لذلك، ومن ثمّ اتسم سلوكه الاجتماعي الخاص والعام بالبعد عن محاور الأحداث السياسية التي عاصرها، ونأى بنفسه عن الخوض في النزاعات التي كانت سائدة، واعتمد لنفسه مسارا حذرا في علاقاته مع الحكام الأمويين، هذّا من ناحية ومن ناحية أخرى تميز نشاطه في غضون ذلك بتوظيف كلّ وقته لتعليم الناس وتدريبهم الفقه وأصوله وأحكامه والآراء الشرعيّة حول المسائل الدينيّة التي كانت تثار في مجالسه التعليمية.

هذّا وبالنظر إلى أسلوب حياته فقد اختار جابر بن زيد أن يعيش حياة ورع وتفشّف وزهد، ونستشفّ ذلك ممّا قاله مرّةً لمحدثيه: «سألت ربّي عن ثلاث فأعطانيهنّ، سألت نعمة مؤمنة وراحةً سالحةً ورزقاً حلالاً كفافاً يوماً بيوم»<sup>(1)</sup>، وعن ثروته فقد قال لأصحابه: «ليس منكم رجل أغنى منّي

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

ليس عندي درهم ولا عليّ دين»<sup>(1)</sup> وفي سياق هذا المعنى يقول الحجاج بن عيينة: «إنّ جابراً متعوّداً علىّ زيارتنا في مسجدنا وفي يوم من الأيام جاء متعباً يجرُّ نعليه القديمتين وقال: مَضَى من أَجَلِي سِتُّونَ سنةً قال: فأحببتُ فيها ونعمتُ فعلي الآن أعزُّ عليّ من ذلك إلّا خيراً أفدّمهُ»<sup>(2)</sup> ومحمد بن سيرين قال مشيراً إلى ورع جابر: «رحم الله جابراً كان مسلماً عند الدّراهم يعني: كان ورعاً»<sup>(3)</sup> هكذا يمكن تأكيد أنّ البساطة والنّقى والورع قد كانت من بين الصّفات المميّزة لشخصيّة جابر وخلقه .

وكما وردت الإشارة أنفاً فإنّه ونتيجة لمعرفة جابر الواسعة بعلم التّفسير وشرح السنّة المطهّرة فقد أصبح شخصيّة بارزة في هدّين المجالين ، وروايته لأحاديث الرّسول روايات مقبولة على نطاق واسع، وأهل الحديث يصفونه بأنّه ثقة<sup>(4)</sup>، والاستثناء الوحيد لهذا الرأي هو ما ذكره الأصيلي بأنّ روايات جابر ضعيفة، ولكن هذا الرأي اعترض عليه ابن حجر العسقلاني<sup>(5)</sup>.

وأما حوا مجالسه الدّينيّة وما كان يدور فيها؛ فإنّنا نشير أولاً إلى أنّه وبالإضافة إلى الحضور المنتظم لطلابه الذين كانوا يدرسون علم الحديث والفنّي على يديه، فقد كان يؤمُّ تلك المجالس أناس آخرون يطلبون منه تبصيرهم بالأراء الشرعيّة حسبما يراه في مسائل دينيّة، بعضها كان يرد إليه<sup>(6)</sup> في شكل أسئلة مكتوبة من أصدقاء من خارج البصرة، وثانياً لقد كانت تلك المجالس مشهودة ومشهورة ممّا يؤكّد صحّة تلك الصّفة التي كانت تطلق على جابر من أنّه قد كان أكثر علماء عصره تمكّناً وبراعةً في مجال الفتاوي<sup>(7)</sup>، هذا وكان الكثيرون من طلابه يدوّنون الأراء الشرعيّة التي كان

- 
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 6 - كذا في الأصل ولعلّ الصواب: «عليها».
  - 7 - موضوع الإحالة غير موجود.

يفتي بها، ولكن هو ميّالاً لذلك، وعندما استبان الأمر قال معلّقاً: (إنّما الله يكتبون هذه الآراء التي يمكن أن تتغيّر غداً) (1)، هذا ولمّا لم يمكنه وقف ذلك التدوين فلقد سجلّ طلابه معظم آرائه ورواياته، وهكذا أمكن نقل تلك المعرفة للأجيال التالية من خلال قناتين: أولهما اعتمدت على التدوين الذي قام به طلاب من غير الإباضيّة ومن بينهم عمرو بن دينار، وعمرو بن هريم، وقتادة بن دعامة السدوسي، وأيوب السختياني وغيرهم (2).

هذا ومن بين المؤلفات والأعمال الكتابيّة التي اشتملت على الفتا وهي الروايت ممّا تمّ تدوينه عن جابر بن زيد نذكر المؤلفات التالية:

1- رواية ضُمّام برواية أبي صفرة عبد الملك بن صفرة عن الربيع بن حبيب عن اهتمام عن جابر بن زيد.

2- مسند الربيع بن حبيب ويحتوي في مجمله على الأحاديث عن الربيع بن حبيب الفراهيدي عن أبي عبيدة واهتمام عن جابر بن زيد (3).

3- جوابات ورسائل جابر، التي اشتملت على آرائه لفقيهية ممّا كان يجيب به على استفسارات بعض أصدقائه، والاتباع المريرين.

تلك هي من بين المؤلفات الباقية حتى الآن والتي كتبها إباضيّة، وإضافة إلى ذلك هنالك المؤلفات التالية:

1- كتاب النكاح ويحتوي على: آراء فقهية في مسائل الزواج، رويت عن جابر والراوي غير معروف حتى الآن، وبما أنّ هذا المؤلف يقع ضمن مخطوطات كتاب الشغار لمؤلفه: عبد الله بن عبد العزيز؛ فإنّ هذه الاشتمالية ترجّح احتمال كون الراوي هو نفسه راوياً للروايات التي تضمها كتاب نكاح الشغار (4).

---

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

2- كتاب الصلاة<sup>(1)</sup>، ورواياته عن حبيب بن أبي حبيب الحرمي عن عمرو بن حريم عن جابر بن زيد<sup>(2)</sup>.

3- ما رواه عمرو بن دينار وعمرو بن مريم، وتضمنه الفصلان: الخامس والسادس من كتاب: أقوال قتادة، وهذه الروايات قد تناولت في معظمها أحاديث عن رسول الله (ص) بالاضافة لآراء فقهية حول: النكاح والزكاة والصلاة، وغيرها مما رواه قتادة عن جابر بن زيد<sup>(3)</sup>.

أمّا حول مؤلفات جابر بن زيد التي كتبها بنفسه، فقد ورد أنّها كانت محفوظة لدى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ثمّ آلت إلى الربيع بن حبيب، ثمّ إلى أبي سفيان محبوب بن الرحيل، ثمّ إلى ابنه محمّد بن محبوب؛ ومنه ثمّ نسخها في مكة<sup>(4)</sup>.

هذا وقد ذكر بعض المؤرّخين الإباضيّة بأنّ جابر قد كتب مؤلفاً ضخماً تضمن أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفتاوي، وعرف ذلك المؤلّف بديوان جابر بن زيد، ولقد كانت هنالك نسخة منه وجدت في مكتبة الخليفة العباسي: هارون الرشيد (786م-809م)، والمصادر التاريخيّة تشير أيضاً بأنّ العالم الإباضي؛ نفاث (فرج) ابن نصر من جبل نفوسة، قد سعى لإعداد نسخة من ذلك الديوان وأحضرها معه، ولمّا سار إلى جبل نفوسة وللإمامة الرستمية فقد قام نفاث بإتلاف تلك النسخة حتّى لا تصل إليها أيدي معارضية<sup>(5)</sup>، وفي كلّ الأحوال نجد أنّ علم التشريع عند الإباضيّة قد بني من أساسه على هدى الأحاديث النبويّة المطهّرة، ثمّ على الآراء الفقهية التي أفتى بها جابر معلماً لطلابه الإباضيّة مهتدياً في ذلك بكتاب الله، ثمّ بسنة رسول الله (ص)، وفي هذا الخصوص يقول أبو عبيدة: (كل صاحب حديث ليس له إمام في الفقه؛ فهو ضالٌّ، فلو لا أنّ الله تعالى؛ منّ علينا بجابر بن زيد

- 
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

لضللنا<sup>(1)</sup>. أمّا عن علاقة جابر بن زيد بالإباضية فقد حاول بعض المؤرّخين غير الإباضية أن يبرهنوا على عدم وجود أيّة علاقة، وأوردوا حكايات عديدة للاستدلال على أنّ جابر نفسه قد نفى أيّة صلة بالإباضية<sup>(2)</sup>،<sup>(3)</sup> مثال ذلك: عن قتادة وداوود بن أبي هند عن عزرة؛ أنّه قال: (قلت لجابر: إنّ الإباضية يزعمون أنّك منهم فقال: <sup>(4)</sup> إني أبرأ إلى الله منهم)<sup>(5)</sup>. لمّا ورد أيضاً في هذا السياق يستشهد به المؤرّخون المعنيون؛ أنّ هند بنت المهلب قد ذكرت بأنّ جابر قد كان من أهل الود المقربين لها ولأمها، وأنّه كان يأمرها بأداء كلّ فعل يقربها من الله عزّ وجلّ، لكنّه لم يدعها لتضوي تحت لواء الإباضية<sup>(6)</sup>.

هذا وقد كانت نتيجة التدقيق في الروايات المذكورة آنفاً أن تمّ تصنيفها إلى مجموعات ثلاث:

1- الإشارة التي وردت عن جابر وقيل أنّه ينكر فيها أيّ صلة بالإباضية، وفي هذا الإطار تتدرج الرواية التي أوردتها مصادر غير إباضية عن ثابت البناني وعزرة اللذين يدعيان بأنّ جابر قد صرّح بذلك الإنكار وهو على فراش الموت؛ المصادر الإباضية قد ذكرت أنّ ثابت البناني قد كان في رفقة الحسن البصري عندما قام بزيارة جابر في ذلك الموقف، وكافة المصادر تثبت بأنّ تلك الزيارة قد تمّت بناء على رغبة جابر نفسه وهو على فراش الموت كما ورد، وقد حضر إليه الحسن البصري سرّاً حيث كان متخفياً في ذلك الوقت من الحجّاج، وثابت البناني هو الذي أخبر

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - على الهامش الجانبي: «نص»، وتردّد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربّما للتأكد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.

5 - ماذا تفيد هذه الروايات التي يسعى لمتأوّن للإباضية والواقع يؤكّد تمسك بفقّه جابر واعتمادهم [كذا] آراء ومروياته سنداً للتشريع والفتوى. فهل تغيّر تلك الأخبار على ضعفها من الواقع شيئاً؟! (م.ن)

6 - موضوع الإحالة غير موجود.

الحسن برغبة جابر، وحضرا معاً، وعندما وقفا عنده قال الحسن مخاطباً له: (قل لا إله إلا الله وأنَّ محمدَ رسول الله)، فأجابه جابر: (يا أبا سعيد، يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسك إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً<sup>(1)</sup>)، (نص على الهامش)

وعن سماعه ذلك علق الحسن البصري قائلاً: (هذا والله الفقيه العالم)<sup>(2)</sup>، فكافة المصادر قد اتفقت في سرورها لذلك الموقف إلى ذلك الحد، والإضافة التي قيل بأنَّ الحسن البصري قد سأل جابر عن أهل النهر، وأيضاً عن رأيه في الإباضية قد روافها ابن سعد وحده حسبما ذكر عزره وثابت البناني، وإلى ذلك فإنَّ تلك الإضافة لا يمكن الوثوق بها لأسباب عديدة منها:

أ- معظم المصادر التاريخية بما فيها مصادر غير إباضية؛ قد أوردت ملاحظات الموقف دون إشارة إلى أنَّ جابر قد تحدّث عن رأيه حول الإباضية أو أهل النهر، والبيغطوري يختتم تفاصيل الحوار الذي دار بين جابر والحسن حسبما ورد آنفاً مؤكداً بأنَّ جابر لم يدلي بحديث أثير بعده.

ب- إذا كانت تلك هي آراء جابر حقيقة وفي مثل هذه المواقف الهامة؛ أليس من المنطق بمكان أن تكون معروفة ومصليّة قبل وقت وبقائه؟

ج- ذلك الموقف الدقيق الذي يمثل لحظات النزاع [كذا] ليس هو بالتوقيت المناسب ليُسأل فيه جابر مثل تلك الأسئلة.

(يرجى مراجعة الصيغة المترجمة من النص الانجليزي: To have been

(invented by the sunni cristics of Hadita) page 41.

Please check: it is not logic to use the words الاتهام or تهمة here.

إذ أنَّ "الاتهام" سبقتة أصالة جابر بن زيد بأنَّه إباضي، واقتراح أن يكون التعبير كالاتي: "لإزالة صفة الإباضية عن جابر"، وذلك بدلا من: "التبرئة جابر من الاتهام القائل بأنَّه إباضي" والأمر راجع إليكم من بعد الدكتور

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

النامي.

أو هناك ترجمة أمخري (من أجل إخلاء جابر كونه إباضيًا).

Check: Saji, page: 42.

(2) - هنالك المعلومات الواردة من جهة علماء سنيين وفيها ينفون أي صلة لجابر بالإباضية<sup>(1)</sup>، ويبدو أن ما ذهب إليه أولئك العلماء، إضافة إلى ما نسب إلى جابر من حيث إنكاره لأي انتماء له بالإباضية هي أقوال اختلقها الفقهاء السنيون أثناء تعرضهم / تتاولهم للروايات المختلفة للأحاديث الشريفة، وهدفهم من وراء ذلك أن تضل الأحاديث التي رويت عن طريق جابر مقبولة لدى السنيين، وعلى ذلك يسهل تجاوز ما هو متعارف عليه لدى علماء الحديث السنيين من أن روايات الحديث عن طريق أهل (البرع) هي روايات غير مقبولة، فإن كان الراوي شيعيًا أو خارجيًا أو إباضيًا اعتبرت روايته ضعيفة السند<sup>(2)</sup>، وخلاصة القول هنا هي أن المقولة التي نسبت إلى جابر حسبما ورد ذكرها أعلاه مختلفة من قبل بعض أهل الحديث السنيين لإزالة صفة الإباضية عن جابر.

ثالثًا: التصنيف الثالث للمعلومات التي وردت بهذا الشأن؛ يشتمل على الخبر الذي أوردته: هند بنت المهلب من حيث عدم دعوة جابر لها بأن تنتبج مذهب الإباضية<sup>(3)</sup>، والاحتمال قائم بصحة هذا الخبر لأن جابر كان يعلمها التعاليم الإسلامية، ومفردات التمييز "إباضيون" و"إباضية" لم تكن مستعملة/سائدة الاستعمال بين الإباضية الأوائل وإلى ما بعد وفاة جابر، وإنما كانوا يستعملون لفظ "المسلمون" و"جماعة المسلمين"<sup>(4)</sup>.

من ناحية أخرى يذكر ابن حجر العسقلاني على نمّة الضعفاء من أهالي

- 1 - إن الاختلاف في اللفظ؛ لا ينفي وقوع الحدث، من هنا كثرًا نود أن يكون الردُّ هكذا "لا يخفى تاريخيا أن الإمام جابر كان في مرحلة الكتمان؛ ومن ثم كان يدعو إلى مبادئه الإسلامية دون إخفاء الطابع السياسي عليها. (م.ن)
- 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 4 - موضوع الإحالة غير موجود.

ساجي بأن جابر بن زيد قد كان إباضيًّا<sup>(1)</sup>، كما نجد أن أبا الحسن الأشعري يتحدث عن معتقدات الخوارج؛ الذين يعتبر الإباضيَّة من زمريتهم، فيقول: "هم يدعون بأن جابر بن زيد هو واحد من سلفهم"<sup>(2)</sup>، ولقد ذكر ابن أبي الحديد نفس الخبر<sup>(3)</sup>، والسؤال هنا: هل كانت هناك حركة بهذا الاسم في عهد جابر؟ وأي دور قام به جابر في تأسيسها ونشأتها؟

للإجابة على هذه التساؤلات لزاماً علينا النظر في الحالة التي كان عليها المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت، حيث كان منقسماً إلى ثلاث مجموعات:

أ- الأمويون الذين كانت بأيديهم أمور السلطة ومعهم أتباعهم.

ب- الشيعة وأتباع علي بن أبي طالب.

ج- المجموعة الثالثة وتنقسم إلى فرقتين:

الفرقة الأولى: وتشمل أولئك الذين امتنعوا عن المشاركة في أي نشاط أو عمل سياسي.

والفرقة الثانية: وتشمل أشولئك الذين رفضوا الوقوف سواء إلى جانب الأمويين، أو إلى جانب الشيعة، وذلك استبراء لدينهم، وأرادوا حكم أنفسهم بأنفسهم، وتحديداً هؤلاء هم الناجون من معركة النهروان، وهم في الأصل أخذ أطراف المحكمة والطرف الآخر من المحكمة، وهم الذين رفضوا أن يحاربوا ضد علي، لكنهم في الوقت ذاته أصبحوا يشكلون معارضة قوية ضد حكم الأمويين، هذا ومن بين الشخصيات القيادية ممن نجوا من معركة النهروان<sup>(4)</sup>، أبو بلال مرداس بن حدير الذي تؤكد المصادر الإباضيَّة؛ أنه قد كان صديقاً مقرباً لجابر بن زيد<sup>(5)</sup>، وأنه قد قام بثورته ضد الأمويين بموافقة جابر<sup>(6)</sup>، بينما يذكر يخرون أن فكرة تلك الثورة قد كانت فكرة أبي

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موجودة على الهامش الجانبي: «OR».

5 - موضوع الإحالة غير موجود.

6 - موضوع الإحالة غير موجود.

بلال نفسه، وأنه قد حثَّ جابر بالانضمام إليه<sup>(1)</sup>، هذا ويمكن القول بأنَّ المحكِّمة من بعد موت/ وفاة.

عبد الله بن وهب الراسبي قد وجد أتباعها في شخصية جابر الزعيم الطبيعي لهم، لأنه أزدى من نفس قبيلة عبد الله بن وهب، ثمَّ إنَّه قبل ذلك ورهع واسع الاطلاع والمعرفة بعلوم القرآن الكريم والسنة المطهرة، ورأيي الشخصي لم يكن جابر بن زيد إلا رجلاً رائداً متفكِّهاً في الدين، أمَّا قيادته السياسيَّة لجبهو معارضة فلم يكن مقدرًا لها أن تكون ذات فاعلية في تلك المرحلة المبكرة من استحواذ الأمويين على زمام الأمر<sup>(2)</sup>، ذلك لأنَّه من جهة لم تجد تلك الفرقة فرصة لتنظيم وتأسيس نفسها في هيئة حركة دينيَّة سياسيَّة تجهر بفعاليتها، ومن جهة ثانية لم يكن للأمويين أن يأذنوا بقيام وظهور أي قيادة كانت ذلك لأنَّ إعلان أي جبهة من هذا القبيل كان سيعني ظهور خلافة جديدة، وهم قطعاً لم يكونوا ليسمحوا بذلك، وسبب آخر في هذا السياق يمكن في المفهوم الذي كان متعارفًا عليه من حيث لزومية أن تكون القيادة هي دائماً قرشية على مستوى الخلافة، والمجتمع الإسلامي ككل كان متمسكًا بذلك العرف ، ولم يكن ليسمح بغير ذلك، ولعلَّه ولهذا السبب أثر الزعماء الأبرزون لهذه الفرقة وأن ينضموا إلى عبد الله بن عبد الزبير وأن يساندوه في معارضته للموين على أمل أن يقبل بوجهة نظرهم وبتوجههم<sup>(3)</sup>، ولقد كان عبد الله بن إياض من الأزرق، وهو زعيم الخوارج المغالين الذين أطلقوا عليهم الأزارقة. تأتي ثورة هؤلاء كحدث مستجدَّ على الساحة السياسيَّة وكان من آثارها أن أحدثت تغييراً في مسلك المحكِّمة، وفي طبيعة علاقة جابر بها، إذ قاد جابر معارضة قوية ضدَّ سياسة نافع وأتباعه حيث

- 1 - حركة الإمام جابر تؤكدها أغلب المصادر الإباضيَّة، ولكنها كانت في مرحلة الكتمان، وعلاقة جابر بأبي بلال أكَّدها الدكتور: عمرو نامي نفسه في هذا البحث. (م.ن)
- 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 3 - هذا الرأي؛ يتعارض مع مبدأ هام عند الإباضيَّة منذ النشأة، وهو أن الإمامة للأكفاء ولا عبرة للعرف أو النسب، وإنَّما إذا تساوى المرشَّحون في الإمامة للكفاءة أصبحت (القرشية) مرجحة. (م.ن)

قام بانتقاد ونقض آرائه تجاه خصومهم المسلمين الذين يعتبرونهم مشركين ويرون شرعية استباخة دمائهم وسبي نساءهم وَهَذَا مِمَّا خالفهم فيه جابر بشدّة، والمصادر الإباضيّة قد سجّلت الحوار التالي الذي جرى بين جابر والحوار برواية (ضمام) الذي يقول: (1) «أليس الله قد حرّم دماء المسلمين باسم الدين؟ فيقول: "بلى". فيقول جابر: "ألم يأذن الله للمسلمين بالجهاد ببعد أن حرّم عليهم ذلك باسم الدين" فيجيبون: "بلى"، فيقول جابر: "أتحرم ولايتهم بعد الأمر بها باسم الدين"، فيقولون: "نعم". وبعد أن يعترفوا بهذا يقول جابر: "ألم يأذن الله بأيّ شيء بعد هذا باسم الدين" (مشيراً إلى أسر المسلمين وقتل نساءهم وأولادهم). وإلى هذا الحدّ لا يجيب الحوار جابراً بأيّ شيء ويقفون صامتين» (2).

هنا يمكن القول بأنّه قد بدأ انقسام خطير يتفاعل في أوساط فرقة المحكّمة في هذه الفترة كنتيجة مباشرة لظهور فرقة الأزارقة وإعلان زعامتها لتلك المبادئ المتطرفة في حقّ خصومهم من المسلمين، وصولاً إلى إعلان نافع بن الأزرق إلزامية الخروج إلى القتال على أتباعه هذا ولقد كانت كلّ تلك الآراء والمبادئ التي أعلنها الأزارقة متعارضة تماماً مع الأسس والتعاليم التي سار عليها أهل النهروان وجماعة المحكّمة الأولى وأتباعهم من أمثال: أبي بلال مرداس وأصحابه، ولهذا كان من الضروري أن تبادل الشخصيات البارزة للمحكمة أمثال: جابر بن زيد بمعارضة السياسة نافع والآخرين ممن انتهجوا نهجه، ومن ثمّ إعلان تلك المعارضة على الملأ قاطبة ودون استثناء لكسب تعاطفهم على أنّه تجدر الإشارة إلى أنّ من بين زعماء المحكّمة ممن كانوا ينظرون في أمر الإنضمام إلى نافع عبدُ الله بن إياض الذي كان يتهياً لذلك، لكنّه - وهو يحاور نفسه داخل مسجد البصرة الجامع وإذ به ينتبه لتسييح المسيحيين ولترتيل القراء ثمّ لأذان المؤننين - فعدل عن رأيه وقرّر عدم الخروج (3)، «وتمسكّ بهم شرعياً ليعيش وسطهم وليختلط

- 1 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربّما للتأكد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.
- 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 3 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربّما

بهم على وفاق يسوده التسامح والاحترام المتبادل<sup>(1)(2)</sup>، وبقي على آراء ومبادئ أهل النهروان وأتباعهم طيلة حياته، وعندما اتضحت هوية الأزارقة، وتوجههم المتطرف عارضهم بشدة وتبرأ منهم<sup>(3)</sup> وأوعز إليه جابر أن يجهر بتلك المعارضة وأن يعلن بوضوح الثوابت الحقيقية التي يؤمن بها المسلمون (الإباضيّة)، وتدحض آراء نافع وأفكاره، ونتيجة لذلك الدور الموفق الذي قام به عبد الله بن غياض في تلك المرحلة سميت الحركة باسمه وعرفت بين المسلمين فيما بعد بالإباضيّة.<sup>(4)</sup>

هناك العديد من الوقائع والاحداث التي ترجح أن جابر قد كان على صلة وثيقة بالحركة الإباضيّة ومنذ مرحلة مبكرة جداً، فقد ورد أنه اعتاد زيارة مكة وبرفقة واحد من جماعة المسلمين واسمه أبو فقّاس الأسود بن قيس، وتعوداً أن يقابلاً معاً ابن عبّاس بمكة، وفي إحدى السنوات قدم جابر منفرداً فسأله ابن عبّاس عن صاحبه، فأجابه جابر؛ بأنه سجين لدى ابن زيّاد، فسأله تالياً: «هل أبو فقّاس منهم؟»، فقال جابر: "نعم"، وسأله<sup>(5)</sup> أيضاً: "أو ما أنت منهم؟"، فأجابه جابر: "اللهم بلى"<sup>(6)</sup>. والشماخي يضيف أن أحد كبار السن من المنتمين "الجماعة المسلمين" واسمه أبو سفيان قنبر، قد اعتقل

---

للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النص المترجم للإنجليزية.

- 1 Nicholson - page: 53.

(واعتقد في إمانية المعاشة في وسطهم متبادلاً معهم القدرة على الاحتمال..) "القدرة على احتمال قمع بني أمية للمسلمين". وهذه هي الاضافة التي يتضح ويستقيم بها معنى النص، والأمر مراجع إليكم لإعادة تشكيل العبارة أو تركها على ما هي عليه.

- 2 موجودة على الهامش الجانبي: أو في ترجمة أخرى (وتمسك بهم شرعياً ليعيش وسطهم وليختلط بهم على وفاق يسوده التسامح والاحترام المتبادل).

- 3 موضوع الإحالة غير موجود.

- 4 موضوع الإحالة غير موجود.

- 5 على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النص المترجم للإنجليزية.

- 6 على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النص المترجم للإنجليزية.

وضرب بالسوط مائة جلدة ليُدلي بمعلومات عن أي من أتباع جماعة المسلمين؛ لكنّه لم يفعل. وقال جابر: «لقد كنت قريباً منه، وكنت أنظر إلى أن يقول: هَذَا هو، فعصمه الله»<sup>(1)</sup>.

الحادثة التي توضح أنّ جابر قد كانت له صلة مؤثرة في الحركة الإباضية، تتجلى في الأمر الذي أصدره هو لوحد من شباب الإباضية لقتل خردلة؛ وقد كان عضواً سابقاً في الحركة، وكشف عن أسماء أعضاء إباضية؛ فقتلوا على أيدي الطغاة<sup>(2)</sup>،<sup>(3)</sup>.

إلى ذلك وبعد ثورة نافع وبعض الخوارج الآخرين فإن الشخصية المميزة للفرقة التي عرفت فيما بعد بالإباضية، أو "أهل الدعوة"، أو "جماعة المسلمين" قد ظهرت بوضوح، وأصبح جابر: زعيماً لتلك الحركة.

هَذَا وبما أنّ لِكُلِّ زعيم أو إمام سياسة ينتهجها لمسار أتباعه؛ فلننظر هنا ونتفحص في السياسة التي اختطّها جابر لمسيرة الحركة الإباضية، والباحث في هَذَا الشأن يجد بأنّ هنالك أربعة خطوط رئيسية يمكن ملاحظتها:

أولاً: العمل على تقادي أية مواجهة عنيفة مع السلطات الحاكمة، بل انتهاج سبيل الحفاظ على علاقة ودية مع الولاة.

ثانياً: عدم عزل أعضاء الحركة للأمة.

ثالثاً: استمرار مجالس العلم ومواصلة رسالتها بتعليم الناس أمور دينهم وليتفقهوا في علم الحديث والفتيا وذلك بغضّ النظر عمّا إذا كانوا من أتباع الحركة أو من سواهم.

رابعاً: وبما أنّ جابر قد كان حريصاً ومهتماً بالحفاظ على سرية

---

1 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما

للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النص المترجم للإنجليزية.  
2 - وأخذت / اعتبرت تلك الحادثة فيما بعد على أنّها دليل فقهي عند الإباضية على وجوب قتل: "الطاعن في الدين" وهو الذي يخرج على مذهبهم من أتباعهم ويطعن في دينهم ويغشى أسرارهم.

3 - موجود في الهامش الجانبي: «OR».

الحركة من خلال القيام ببعض أنشطتها في الخفاء، وأن يضلَّ أعضاء الحركة غير معروفين لدى الحكام والولاة فقد اتخذ موقفاً متشدداً من أولئك الذين يكشفون أسماء الأتباع / الأعضاء لسلطين الجور<sup>(1)</sup>، هذا النهج الذي اختطه جابر وحرص على تنفيذه من خلال توجيهاته التنظيمية جعل من شخصيته الإمام الأول لمذهب الإباضية الذي يرى أتباعه أن تلك الفترة من زعامة جابر مثلاً لمرحلة الكتمان التي مرت بها الحركة<sup>(2)</sup>.

هذا وبما أن أسلوب الكتمان قد كان من أبرز ملامح تلك المرحلة المبكرة من نشأة مذهب الإباضية؛ فإنه لم يعرف إلا القليل عن أنشطة جابر في غضون حقبة ولاية زياد بن أبي سفيان وابنه أبو عبيد الله بن زياد، وقد تميّزت تلك الفترة بالقمع الذي عايشته الحركة، حيث قتل العديد من أتباعها، وقد كانوا من الأصحاب المقربين إلى جابر؛ أمثال أبي ففّاس وقنبر، ورغم شدة ذلك القمع ومدّة الصارم في ذلك الوقت إلا أنه ليست هنالك معلومات مؤكدة من أن جابر قد تعرّض لشيء منها، والمصادر الإباضية التي تناولت تفاصيل تلك المرحلة قد استشهدت على تلك الضغوط السلطوية<sup>(3)</sup> بقول جابر: «لم نجد أي شيء أكثر مساعدة لنا في هذا العصر (عصر ابن زياد) من الرشوة»<sup>(4)</sup>، وعليه فقد كان جابر مضطراً للمدى الذي يسمح فيه باستخدام أسلوب الرشوة لتقادي الظلم والاضطهاد ممّا كان يحيق به، وبأتباعه من قبل الحكام الطغاة.

وفي عهد الحجاج؛ استطاع جابر أن يكون علاقات طيبة معه وأن يحافظ عليها، ومن خلال معاونه يزيد بن مسلم الذي كان كاتباً للحجاج، وصديقاً مقرباً من جابر في ذات الوقت<sup>(5)</sup>، كذلك استطاع جابر أن يوطد علاقات متينة مع بعض العائلات ذات النفوذ مثل: عائلة بني المهلب، حيث كانت

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - على الهامش الجانبي: «نص»، وتترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

5 - موضوع الإحالة غير موجود.

بينه وبينهم علاقة نسب، ولكن الأكثر أهمية أنه كان المعلم الديني لتلك العائلة، فقد كان يزورهم ويعلمهم أصول الدين ويأمرهم بفعل الخير والعمل الصالح<sup>(1)</sup>، ومن بين مكاتباته التي لا تزال باقية هنالك؛ ثلاثة جوابات وجّهها جابر إلى أفراد من هذه العائلة؛ ردًا على كتاباتهم إليه، اثنتان أرسلها إلى عبد الملك بن المهلب، والرسالة الأخرى موجهة إلى خيرة بنت ضمرة القشيرية، زوجة المهلب، ومن خلال جواباته الأخرى نلاحظ بأن جابر كانت له اتصالات عديدة بشخصيات ذات نفوذ وسلطة وفي مواقع مختلفة، كان من بين تلك الشخصيات، وقد أرسل رسالة إلى جابر يسأله رأيه ليستتير به في جمع مال خراج الأرض والجزية المطلوبة دون المساس بحقوق المعنيين بالأمر أو الخروج عن تعاليم الشرع، والرسالة التي أجاب بها النومان، تحتوي على معلومات مفيدة حول الطرق التي يجب بها خراج الأرض، وكيف كان يصل منه إلى بيت المال مائة درهم مثلاً: من أصل ثلاثمائة ويتغول الدهقان وتحصلوا الخراج على البقية الباقية، أمّا الشخص الآخر الذي كاتب جابر فهو يزيد بن يسار وقد أرسل موضحاً أنه قد عين في أحد المناصب في عمان، ويسأل جابر في ذيل رسالته ن رأيه حول بعض المسائل<sup>(2)</sup>، هذا ومن بين أناس آخرين من عمان كانت صلتهم موصولة مع جابر هنالك، مالك بن أسيد؛ الذي أرسل رسالة إلى جابر يخبره فيها بعرضه أن يشتري له ناقه من عمان، وقد وافق جابر على العرض حسبما يستفاد من رده على ابن أسيد<sup>(3)</sup>.

هذه الاتصالات الواسعة لجابر مع أصحاب النفوذ ومع العائلات الهامة، إضافة إلى مكانته وإلى التقدير الذي كان به لدى العامة جعلت الحجاج بن يوسف متيقظاً حذراً منه، وقد أراد أن يستميله إلى جانبه، فعرض عليه تولي رئاسة منصب القضاء، ولكن جابر رفض العرض<sup>(4)</sup>، واعتذر عن قبوله، والمصادر الإباضية تشير إلى أن جابر كان يعلن عن معارضته

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود كذا في الأصل ولعلّ الصواب: «...».

للحجاج في مناسبات متعدّدة، وقد نكر بأنّ جابر قد رفض في إحدى المناسبات أن ينول الحجّاج قلمًا منكرًا إيّاه بحديث رسول الله (ص)، حديث الذي يقول في ما معناه: «لعن الله الظالم ومساعديه والذين ساعدوا معيبيه ولو بتسليمهم قلمًا»<sup>(1)</sup>، وكذلك رفض أن يوافق الحجّاج حول مسألة المسح فوق الجفّين عمد الوضوء وقال: «كيف أمسح على الخفين والله يخطبنا بنفس العضو»<sup>(2)</sup>.

هَذَا وكما ذكرنا آنفا: اهتمام وحرص جابر على سرّيّة الحركة حسب مقتضيات مرحلة الكتمان نجده نفسه أكثر حذرًا في اتصالاته مع أصحابه وأتباعه، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح من خلال مكاتباته، حيث طلب في خمس من رسائله أن تعدم ولا يبقى لها أثر، وقد نكر السبب وراء ذلك في ثلاث منها، (أ): إذ في رسالته الموجهة للحارث بن عمرو وهو أحد أقدم الأتباع في الكوفة<sup>(3)</sup>، كتب جابر في نيل رسالته له قائلاً: "وأعلم أنّك أصلحك الله بأرض أكره أنّه تذكر لي فيها اسمًا فلا ترو شيئًا ممّا كتبت به إليك، واكتب إليّ بما كانت لك من حاجة فإنّي أحب رضاك وما يسرُّك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"<sup>(4)</sup>، ولعلّ تلك الفترة قد كانت في عهد ولاية زياد ذلك لأنّ الحارث قد توفي فترة ولاية يزيد بن معاوية.

(ب)<sup>(5)</sup>: كما كتب جابر إلى عبد الملك بن المهلب قائلاً: «أكتب إليّ بما كانت لك من حاجة في سرّ وثقة، فإنّك قد علمت الذي نحن فيه وما نتخوّف من الذي يطلب العلل علينا فلا تعرض لذلك لأمر تهلكنا به أصلحك الله»<sup>(6)</sup> (1)

- 1 - الدليل للورجلاني: 108 أ. page: 46. هذه الترجمة لتعذر [كذا] الحصول على النص الأصلي.
- 2 - مسند الربيع: 15-16، IV، page: 46، ابن خلفون: أجوبة، 39، ص11، ط: دار الفتح، بيروت.
- 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 4 - جوابات جابر بن زيد: 15. page:47. رسائل الإمام جابر بن زيد، رسالته إلى الحارث بن عمرو، ص15.
- 5 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربّما للتأكّد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.
- 6 - ينظر رسالة الإمام جابر إلى عبد الملك بن المهلب، ص4. (م.ن)

هَذَا وفي رسالة أخرى يتحدث جابر عن بغي الأمراء، فيقول: «فإن أمر الأمراء ما قد علمت ونحن لهم هائبون يلتمسون علينا العلل»<sup>(2)</sup>، مما ورد نكره يُستدلُّ منه على أنَّ جابر كان يخشى بأس الحكَّام، ولذا فقد كان حذراً في مسلكه وفي تحركاته، حريصاً على سلامة تنظيم الحركة وأتباعها، ويتأكد ذلك في إحدى جواباته إلى عبد الملك بن المهلب أيضاً، حيث يعبر عن شكره لله عزَّ وجلَّ لِنجاة الأخير من مقتل؛<sup>(3)</sup> ويختم رسالته قائلاً: «نسأل الله القريب المجيب أن يريكم وإيَّاناً في أموركم وأمورنا ما تقرُّبه أعيننا، ونرجو أن يكون إليه قسم به الدفاع»<sup>(4)</sup><sup>(5)</sup>، وعلى الأرجح فإنَّ كان يعني بكلماته الأخيرة شخص عن الحجاج الذي حدث نزاع بينه وبين أهل المهلب، ووجد الفرصة سانحة لاعتقالهم وسجنهم أمر بنفي جابر وأحد معاونيه، واسمه هبيرة إلى عمان<sup>(6)</sup>، ومن المحتمل جداً أنَّ الحجاج نفذ هذا الاجراء حتَّى لا يكون جابر مصدر عون لآل المهلب، واتبعه بإجراء آخر، حيث أمر أيضاً باعتقال وسجن ثلاثة من قياديي الحركة الإباضيَّة؛ هم أبو عبيدة وأبو سلامة<sup>(7)</sup>، ولقد جسدت هذه الخطوات الثلاث أوَّل إجراء خطير من القمع والكبت لزعماء الحركة بما فيهم جابر نفسه وذلك في عهد الحجاج، ويبدو أنَّ السبب الرئيسي وراء تغيير الحجاج لسياسته تجاه الإباضيَّة هو النزاع الذي نشب بينه وبين آل المهلب، ولأنَّ العلاقة قد كانت قويَّة بين هذه الأسرة وبين جابر كما أسلفنا القول، فقد خشى الحجاج من قيام بخطوة معاكسة لمساعدة أصدقائه، ولا يوجد مبررٌ غير ذلك يستدعي ما استجدَّه من سياسة الحجاج ضدَّ جابر وضدَّ الحركة الإباضيَّة، وفي كلِّ الأحوال فقد استطاع أولئك نفر من آل المهلب الهروب من السجن والتجأوا

=

- 1 - page: 47, Ibid: 40.
- 2 - موضوع الإحالة غير موجود كذا في الأصل ولعلَّ الصواب: «...».
- 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 5 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 6 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 7 - موضوع الإحالة غير موجود.

إلى سليمان بن عبد الملك بدمشق فأجارهم<sup>(1)</sup>، أمّا بالنسبة لجابر ومن حيث اعتقاد بعض المؤرّخين لوفاته في سنة: 93هـ، فمن المحتمل أنّه قد عاد إلى البصرة بعد نفيه إلى عمان، ولعلّ العلاقة التي كانت قائمة بين آل المهلب من جهة وبين سليمان بن عبد الملك وأخيه الوليد من جهة أخرى قد كان لها أثر في عودة جابر إلى البصرة.

تلك كانت الخطوط العريضة لسياسة جابر ولنشاطه العام، وأهم دور قام به جابر في حياته قد تمثل في إسهامه المشهود له في مجال الفقه الإسلامي وتأسيس نظام التشريع في المذهب الإباضي.

من البديهي على المسلم الالتزام بتعلّم شيء من القرآن الكريم والسنة المطهرة لأيدرك واجباته الدينية من صلاة وخلافتها، ولقد أدى تطور المجتمع الإسلامي والتوسع السريع للدولة الإسلامية، إلى قيام مراكز دينية جديدة كانت محط رحال مجموعات من صحابة رسول الله (ص)، والبصرة كانت واحدة من تلك المراكز الحضرية وقد تأسست في عهد خلافة عمر بن الخطاب (ض)، ولقد أنشئت أولاً كمركز حربي وسيط ولكن سرعان ما أصبحت واحدة من عواصم الثقافة الإسلامية، في هذه المدينة حظّ جابر بن زيد رحاله، ووجد ضالته المنشودة بوجود عدد كبير من الصحابة وهم أشدّ همّة وأمضى عزماً لتعليم الناس دين الإسلام، وهكذا كانت ثمرة جهودهم مولد فئة جديدة هم طلابهم الذين عرفوا فيما بعد بالتابعين، وهؤلاء هم الجيل الثاني الذي ورث التعاليم الإسلامية من خلال تلقية لها من الصحابة وتبني تعليم الناس القرآن الكريم وسنة رسول الله (ص)، وجسّدوا من خلال حياتهم اليومية القدوة الخيرة للمسلم، وكان جابر واحداً من بين أولئك التابعين الأوائل بالبصرة ممّن كرّسوا حياتهم لتلك المهمة، ولقد ذكرنا فيما سبق مكانته العلمية وأنّه قد كان من بين أبرز العلماء الفقهاء في البصرة، وفي هذا<sup>(2)</sup> الخصوص يقول إياس بن معاوية: «أدركت البصرة وما لهم مفت

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.

يفتيهم غير جابر بن زيد»<sup>(1)</sup>، ومن المحتمل أن ذلك قد كان لفترة محدودة، إذ أن مصادر تاريخية أخرى تذكر بأن هنالك شخصيات أخرى إلى جانب جابر، قد ساهمت في حمل عبء الفتوى في البصرة، ومن بينهم: الحسن البصري وعمرو بن سلامة الجرمي وأبو مريم الحنفي وكعب بن سيود<sup>(2)</sup>، أمّا عمرو بن دينار وهو أحد طلاب جابر فقد بلغ به المدى تقديره لأستاذه أن قال عنه: «لم أحدا يملك معرفة واسعة بالفتيا من جابر بن زيد»<sup>(3)</sup>.

ولعلّ تحليلًا موجزًا للطريقة التي انتهجها جابر في مضمار الافتاء بآراء فقيهة سيساعد في فهم فلسفة التشريع عند الإباضية، لقد كان جابر بن زيد فقيها في علم الحديث، واطلاعه الواسع في هذا المجال، واهتمامه المشهود للإحاطة بالآراء الفقهية للصحابة وبآثارهم واجتهاداتهم في مختلف المسائل كلّ ذلك جعل منه صاحب منهج متميز ومتمكّن في العلوم الشرعية، والقاعدة التي أقام عليها جابر منهجه تنص على أن الأسس التي ينبغي أن يتبلور في إطارها رأى

(OR)

رأى شرعي/فقهية، هي أولاً: هدى القرآن، وثانياً: السنة النبوية المطهرة، ثم آراء واجتهادات الصحابة ثم بعد ذلك يأتي حكمه هو، والمصادر (OR) الثاني لأرائه الفقهية/الشرعية بعد القرآن كما هو واضح من تلك القاعدة هو السنة المطهرة، وجابر نفسه يقول: «الأمر الذي تعارضه السنة مهما كان فهو مرفوض»<sup>(4)</sup>، ويقول أيضاً: «لا شيء من الأعمال يكون صحيحاً إذا كان معارضاً للسنة»<sup>(5)</sup>، واتّباع جابر لهذا المنهج يأتي وفقاً للقاعدة التي أرسى الصحابة الأجلاء أسسها، وأستاذه عبد الله بن عمر حثّره من أن يدلّي بأيّ فتوى شرعية إلا إذا كان هنالك نص

- 
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود كذا في الأصل ولعلّ الصواب: «»..
  - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

صريح من القرآن أو السنة المطهرة<sup>(1)</sup>، ولقد ورد بأن جابر قد قال أيضاً: «أدركت عدداً من الصحابة أكثر فتياهم حديث رسول الله (ص)»<sup>(2)</sup>، ثم يأتي المصدر الثالث وهو الرأي، وبهذا الشأن نجد أن جابر قد كان على قناعة من أن رأيه يأتي للضرورة متدرجاً بعد رأي الصحابة وليس قبله، وهو في كتاباته يقول: «ورأي من قبلنا أفضل من رأينا الذي نرى، لم يزل الآخر يعرف للأول؛ وكانوا أحق بذلك المهاجرين مع رسول الله (ص) والتابعين لهم بإحسان فقد شهدوا وعلموا، فالحق علينا وطء أقدامهم واتباع أثرهم»<sup>(3)</sup>، ويضيف قائلاً: «فلعمري ما أنا إلا متعلم متبع آثار قد وطئت قبلي، وما عندي من ذلك ثقة ولا دلالة إلا رواية عسى أن (OR) نختلف فيها»<sup>(4)</sup>، ولقد عبر عن التزامه بهذا النهج / المبدأ في جوابه إلى عنيقة/ حيث يقول: «ليس من ذلك شيء إلا ما يروي الناس عن الناس وامن [كذا] رأي عندنا فنحن في ذلك أنقص رأياً»<sup>(5)</sup>.

هذا وفي حيثيات القضية التي سيلي ذكرها ما يؤكد اتباع جابر الوثيق للمبدأ محل هذا التحليل، والقضية هي قضية المرأة التي طلقها زوجها المريض، وكان رأي ابن عباس أنه ينبغي عليها أن تنتظر حين زوال حالة الخطر المرضية عن زوجها لكي تحفظ حقها في استرداد مؤخر الصداق والإرث منه، وإن هي تزوجت من رجل آخر قبل ذلك ستفقد حقها في مؤخر الصداق والميراث كذلك، وبعد ملاحظته لهذا الرأي لأستاذه ابن عباس قال جابر: «ولولا قول ابن عباس في ذلك لسرتي - وإن تزوجت - إذا عرف الضرر أن تستوجب الأمر كله مالم يذهب ميراثها»<sup>(6)</sup>، ورغم رؤيته هذه فقد

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - page: 49, at the bottom of the page, Jabir expressed the same principle.. etc. page: 49, Ibid: 38

5 -

check: anifah. -

رسالة الإمام جابر إلى عنيقة، ص 18. Ibid: 18, page: 49, at the bottom:

6 - موضوع الإحالة غير موجود كذا في الأصل ولعل الصواب: «...»

نزل جابر عند رأي ابن عباس وذلك استيفاء للمبدأ المذكور وعملاً به؛ على الرغم من أنه كان يعتقد بأن رأيه في تلك المسألة هو الأفضل، وإلى ذلك يمكن القول بأن المصادر التي ارتكز عليها استقاء القوانين والأحكام الشرعية عند الإباضية هي القرآن الكريم والسنة والرأي، والمصدر الأخير يعمل بمقتضاه فقط عندما لا يتوفر أثر من السنة الشريفة.

وكخاتمة لهذا التحليل، وترتيباً على ما ورد ذكره يمكننا الإقرار بأن المدرسة التشريعية - المدرسة القانونية - المنهج التشريعي الذي / التي وضع جابر بن زيد قواعده / قواعدها قد تؤثر / تأثرت وبقدر كبير بالسنة النبوية المطهرة<sup>(1)</sup>، ومن بعد وفاة جابر جاء طلابه الإباضية وساروا على نفس الطريقة حيث كان التشريع عندهم يعتمد أساساً على ما ورد من الآثار لا يحيون عنها، ويحكي أن أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة، خليفة جابر قد أتى إليه من أخبره بأن أهل عمان يجتهدون بالرأي للإفتاء في مسائل فقهية، فعلق على ذلك قائلاً: «ما نجوا من الفروج والدماء»<sup>(2)</sup>.

في ختام هذا الباب؛ نتناول من خلال نظرة موضوعية موجزة المعلومات المتوفرة التي رصدتها المصادر التاريخية حول تاريخ وفاة جابر بن زيد، وذلك سعياً للوصول إلى الحقيقة ما أمكن ذلك؛ خاصة وأن تاريخ وفاة هذا العالم هو محل اختلاف من جهة نظر المصادر المعنية.

كتاب السير الذين اهتموا بكتابة سيرة جابر بن زيد؛ قد نكروا خمسة تواريخ مختلفة لوفاة، فبالنسبة لأولئك الذين قالوا بأن جابر قد توفي في نفس الأسبوع الذي توفي فيه الصحابي أنس بن مالك؛ فقد نكروا تاريخين.

التاريخ الأول: هو سنة 91هـ/79م حسب رواية ابن حبان<sup>(3)</sup>، والتاريخ الثاني هو: سنة 93هـ/711م حسب رواية الربيع بن حبيب، وابن حبيب، والبخاري، وأحمد بن حنبل، والفلاس، والبخاري، وأبو نعيم، والسالمي،

1 - موضوع الإحالة غير موجود كذا في الأصل ولعل الصواب: «...»

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

وابن حيان<sup>(1)</sup>، وكل هؤلاء من علماء الحديث، ولا بدّ أنّهم أكثر دقّة عند تحديدهم التاريخ التقريبي لوفاة محدث، إذ أنّ ذلك يمثل لهم: قيمة كبرى، ترتبط بتواصل سلسلة الإسناد وبالتالي صحته.

أمّا المؤرّخون أمثال: ابن سلام، وابن سعد، والواقدي، والمسعودي، والاصمعي، وابن مداد؛ فقد ذكروا سنة: 96هـ/714م، ولكن نستطيع تحديد التاريخ الصحيح من بين هذه التواريخ المتباينة لوفاة جابر، يجب علينا أخذ الحقائق التالية في الاعتبار.

(أ)- معظم المصادر التاريخية قد أشارت إلى أنّه في ليلة وفاته؛ رغب جابر في مقابلة الحسن البصري له، وقد كان الأخير في ذلك الوقت، وقد كان الأخير في ذلك الوقت متخفياً من الحجّاج، وبناء على هذه الإفادة فإنّ وفاة جابر قد حدثت قطعاً قبل وفاة الحجّاج الذي توفي سنة 95هـ/713م.

(ب)- معظم المصادر قد أشارت كذلك إلى أنّ جابر قد توفي قبل الصحابي: أنس بن مالك الذي قال عند سماعه خبر وفاة جابر: «اليوم مات أعلم من على ظهر الأرض»<sup>(2)</sup>؛ هذا مع ملاحظة أنّ السننتين: (91هـ و 93هـ) هما اللتان يرى المؤرّخون أنّ في إحداهما توفي مالك بن أنس.

(ج)- إيّان خلافة عمر بن عبد العزيز، (99هـ-101هـ) كان للإباضية اتّصال به، إذ أرسلوا إليه وفداً إباضياً في إطار محافظتهم على تلك العلاقة، والمصادر الإباضية أوردت تعليق أبي عبيدة وما أبداه من ملاحظات على نتائج لقاء الوفد المشار إليه مع الخليفة عمر بن عبد العزيز، وإلى ذلك يصعب تصديق عدم إلقاء جابر بقول أو ملاحظة على ذلك الحدث لو كان حياً، وهذه حقيقة تقيد بأنّه قد توفي قبل تاريخ: 101هـ/719م، وبالتالي فإنّ التاريخ: 103هـ الذي حدّده بعض المؤرّخين هو تاريخ مستبعد، وكذلك لا مجال للنظر في التاريخ الذي أورده ابن عدي وهو سنة: 104هـ كتاريخ لوفاة جابر عليه، وبما أنّه لا يمكن الجزم بالتاريخ الصحيح في مثل هذه

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

الخالة من تباين المعلومات يظل تاريخ: (93هـ) الذي حدّده علماء الحديث  
وأكدت عليه المصادر الإباضيّة؛ هو التاريخ الذي أرى الأقرب للحقيقة  
والجدير بالاعتبار كتاريخ لوفاة: جابر بن زيد.

الباب الثالث

أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة

الإمام الثاني لمجتمع الإباضية في البصرة

(1)

---

1 - موضوع الإحالة غير موجود.